This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at http://books.google.com/

TARIKH ISKANDAR DHI AL-
QZRNAYN

Princeton University Library
32101 077795522

Digitized by Google

ed ? 2262
.001
.895

Alex the Gr.,
B.C. 356-
323

Digitized by Google

Tārikh Iskandar Dhū al-Qarnayn

كتاب

تاريخ اسكندر ذي القرنين المكدوني

طُبع في بيروت في المطبعة الوطنيَّة سنة ١٨٦٨ مسيحيَّة

اذا المرء أفنى العمرَ لم يستمتع بهِ
حديثاً ولم يعلم باخبار من مَضَى
تساوى بمن لم يدرِ ما العيش واستوى
خيالاً طرا في مدة الحلم وانقضى

Digitized by Google

[redacted]

(RECAP)
2262
.001
.895
.1868

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرّد بالجبروت والعزّة والجلال * وهو صاحب السلطان المطلق الذي لايتناهى ملكه ولا ينقرض بانقراض القرون والأجيال * الذي جعل العالم ميدانا تتسابق في حلبته الفرسان * فيفوز الشجاع باكليل الظفر والفخر وينخذل مشتملا ببرد الذلّ الوكل الجبان * فينشر ذاك بذكره ومجده في كلّ عصر بعد الانحلال والطيّ * ويطوى ذاك بخموله في زوايا الهوان وهو حيّ * أمّا بعد فلمّا كانت أسفار التواريخ مرآة تسفر عن وجوه الحوادث في الأعصار العابرة * ودستورا يجد به عبرة وتبصرة من تصفّحه في الأعصار الغابرة * وحديقة يتفكّه باثمارها الخاطر *

ويتنزه بأزهارها الناظر * وكان تاريخ اسكندر بن فيلبس المكدوني
المعروف بذي القرنين نزهة النفوس * وتاجا فوق غرة الدهر
مرصعا بالدرر الغوالي التي هي كالشموس * واليه يشار ببنان
الايام ان لا عطر بعد عروس * فيه جنات ربيع اثمارها يانعة * وفي
جوانبها اعطار ازهار الروايات ضائعة * وحاوية من موارد الحقيقة
أعذب واحلى مورد * ولتنزيه الافكار اطرب منشد ومغرد * وكان
كثير من المؤرخين السالفين قد اختلفت فيه رواياتهم * وتصحفت
بتمادي الايام عباراتهم * فلا ترى رواية تطابق الاخرى * ولعل
ذلك من تواتر الاغلاط التي سقطت بها النساخ دهرا فدهرا *
فضلا عن سقم الترجمة الناجمة عن عدم الاعتناء بتوضيح الالفاظ
العسرة * واهمال ما وجب تدوينه من الحوادث المشتهرة * وسبك
المعاني في غير قوالبها * وارادفها بتأويلات بعدت عن المقصود
في مآربها * وقفت على التاريخ اليوناني فوجدته كامل الاشارة *
واضح العبارة * مستوفيا حاويا جميع الاخبار الحقيقية بالتفصيل *
وما حازه الملك المظفر مدة حياته من السيادة والرفعة والتبجيل *
وما بلغت اليه مملكته من سمو الرتبة في منار المعالي * وما تكللت
به في منازل البروج السامية من اكاليل اللآلي * وكيف انه تغلب
على الفرس بباس شديد * وعزم ثابت وطيد * وقتل ملكهم واخذ

Digitized by Google

بنتهُ * ووطئ ارض المشرق ورفع على هام جميع الممالك سدتهُ *
وافتتح مملكة الهند * وقتل بورُس ملكها بحد السيف مع ما
حواه من المهمات والجند * فاستخرجتهُ الى اللغة العربية
ليعم نفعهُ ابناء الوطن * وليطلعوا على ما حدث
من الغرائب في سالف الزمن . والله
في توفيقي المسؤول اذ انهُ اعظم
مأمول

الفصل الاول

ان ابا اسكندر كان يونانيًا واسمهُ فيلبّس ملكًا على مكدونيه
واسم امراتهِ اوليمبيادة وكانت بارعةً في الجمال ولم يكن لها ولدٌ لانها
كانت عاقرًا . ولذلك كان فيلبس كاسف البال زائد البلبال
اذ كان ذا غنيٍ عظيم . فلم يزل يتفكر في نفسهِ قائلاً كيف يكون
تدبير مملكتي من بعدي وليس لي ولد * ولم يشا ان يحزن امراته
اوليمبيادِه او يتخذ غيرها * وذلك لفرط جمالها . ولانها كانت تفوق
نساء مكدونية في الذكاء . وكانت مملكته يومئذٍ خاضعةً لداريوس
ملك العجم . وكان ان داريوس ارسل فدعا فيلبس ليخرج لمعونته
في الحرب كعادة ملوكهم في ذالك العصر . فعند خروجهِ من
دار مملكتهِ استدعى امراتهُ اوليمبياده واوصاها قائلاً . انتِ تعلمين
عظم محبتي لكِ . وهوذا انا ماضٍ الى سيدي داريوس وانا حزين
جدًا اذ لم ارلي ولدًا مدة حياتي ومقاملتكِ معي . فاعلمي اني لا اريد
ان ارى وجهكِ في ما بعد * ولما توجه بعساكرهِ الى الحرب بقيت
اوليمبياده وحدها في حزنٍ عظيمٍ وكآبةٍ شديدة . ومن شدة غمها
مرضت وصارت طريحة الفراش فلما راتها ابيا احدي جواريها على
هذه الحال . وعلمت بمصابها وشدة احزانها . قالت لها النمسر

منك ايتها الملكة سيدتي ان لا تغتمي ولا تتمرمري. فاني اعلم بوجود فيلسوف في هذه المدينة عجيب وهو خبير في صناعة التنجيم ومهما نجّ وتكلم بهِ يتمّ فعلاً. فان شئتِ اذهب اليهِ وآتيكِ بهِ فينظر أمركِ ويزيل مصابكِ هذا. فاجابتها الملكة قائلة اذهبي واسرعي باحضاره اليَّ لكي ينجّم لي حسب صنعتهِ لعلي أُرزق ولداً * فذهبت الجارية وأتيا واحضرتهُ وكان اسمهُ نكتينافون الفيلسوف. وهذا كان وقتاً ما ملك مصر ثم تخفى متشاغلاً بصناعة النجوم ماهراً جداً في علم الفلك. فلما رأتهُ الملكة قالت لهُ ايها الرجل المصري هل هو حق ما أُخبرت بهِ عنك وهل لك قدرة ان تهبني ولداً بتنجيمك فان حملت وولدت ولداً للملك فيلبس بواسطتك وارحت قلبي وقلبه فتكون عندنا عظيماً ويكون لك الاكرام والاجلال. وتدعى نديماً في مكدونية ومهما ابتغيت مني اهبك. فاسرع بحكمتك قبل مجيء سيدي فيلبس

اما نكتينافون فلما رأى الملكة اوليمبياده وحسن صورتها وبهاء جمالها. نظر اليها متحيراً. ثم دنا منها وتفرس متذهلاً ولم يكن يدري بماذا يجيبها لما داخله من فرط الانشغاف بذلك الجمال البارع. ففطنت في الامر واخذته سرّاً وشرعت تحدثهُ بهدوٍ قائلة ما شانك ياهذا ولماذا تتفرس فيَّ هكذا * فها انا خاضعة لك بعد ان

حبل بولدٍ . فتعجب الرجل وكلّمها قائلاً على ما ارى ايتها الملكة
ان احد الهتنا امون الصنم ومعهُ فيلوجايس واركيوليوس مزمع
ان يرقد معك هذه الليلة . فاجابتهُ قائلةً هلمَّ اذًا الى البلاط
واتخذ لك مبيتاً عندي حتى اذا جاءت الالهة الي تكون قريباً مني
وننظر في التنجيم لكي نجاوبهم على حسب حكمتك ومعرفتك .
اما نكتينافون فذهب ونظر في تنجيمه ولما اراد ان ياتي الى البلاط
تشكل بشكل امون الصنم لكي ينال بغيته من الملكة اوليمبياده
فصنع راسه كشكل نسر من ذهب وعليه سروة من ذهب بهيئة
ملك الحيات بذنب نظيره وصنع رجليه كرجلي سبع وظهره بصورة
احد الحيوانات . وهكذا دخل الى الملكة اوليمبياده . فلما ابصرتهُ
ارتاعت جدًّا فاضطجع معها تلك الليلة . ثم خرج في الصباح
بحيلةٍ استعملها ولم يشعر بهِ احدٌ وذهب الى البيت الذي افرزتهُ لهُ
وفي الغد ذهب وكلمها قائلاً . فلتبتهج ولتستبشر الملكة اليوم لانك
قد ظفرت بما لم ينلهُ احدٌ من نساء مكدونية . وها قد اثمرت
احشاؤكِ بولدٍ ذكرٍ وهو عتيدٌ ان يملك الارض كافةً فاذا حضرتك
ساعة الولادة فاسرعي واعلميني لكي ادلك في اي لحظة يولد الصبي فلما
حضرت ساعة الطلق جاء نكتينافون وفتح كتاب التنجيم فراى النجوم
والافلاك مضطربة ولم تكن ساعة سعدٍ فاوعز الى القابلات ان

Digitized by Google

ينكسنها بوضع راسها الى اسفل لكي لا يولد الغلام . فلما دخل الليل وخيم الظلام واخذ الفلك قوته ودوران الاجرام العلوية حده في تلك اللحظة اشار الى القابلات ان ينزلنها حالاً فحالما انزلنها سقط الغلام وذلك في شهر اذار في الساعة التاسعة من الليل . ويقال انه لما ولد الصبي وخرج الى النور . بكى وتكلّم قائلاً اذا اكملت اربعين سنة ساعود اليكِ ايتها الارض امي بالطبع . واما الملكة فاخذت الصبي الى هيكل ابلون الصنم فصلى عليه كاهن الاصنام ودعا لهُ . فطلبت الملكة من الكاهن ان يظهر لها ماذا عسى ان يكون من هذا الغلام . فتضرع الكاهن الى الصنم لكي يخبره في الحلم فظهر لهُ ليلاً واخبره بانه يكون عتيدٌ ان يكون جليلاً وملكاً عظيماً يملك على الارض كلها ويحسن الصنيع الى روسائهِ ورجال دولتهِ وعظمائهِ . ويبطش بملك مكدونية ويقتلهُ واذا بلغ اربعين سنة ينقلب الى الارض امهِ بالطبع فاخبر الكاهن الملكة بهذا جميعهِ . واما الملك فيلبس فلما فرغ من الحرب استأذن من الملك داريوس الفارسي بالرجوع الى مكدونية واذ كان نائماً احدى الليالي في الطريق على ماء راى حلماً . وهو ان امون الصنم ماسك اسكندر وهو صغير السن . ويقول لفيلبس افرح يا ملك مكدونية لانك قد رزقت هذا الغلام وهو اسكندر مجرباً وشجاعاً في الحروب وهو

Digitized by Google

ملك الارض فاستيقظ فيلبس وهو في انذهالٍ عظيم وفكر جسيم بسبب الرؤيا فنادى ارسطوطاليس الفيلسوف وقص عليهِ روياه وفيما الملك يتكلم بعد . اذا بنسرٍ عظيم قد اتى واستقر على خيمة الملك فيلبس وباض عليها بيضة فتدحرجت الى ان وقفت في حضن الملك . فانذهل فيلبس وهمَّ ان يتحرك من مكانه فوقعت البيضة وانكسرت وخرج منها افعوان عظيم ودار حول الخيمة دفعتين ثم عاد الى البيضة. حينئذٍ قال ارسطوطاليس الحكيم للملك بالحقيقة ان هذا هو الحلم الذي رايته الليلة الماضية بعينه . وفيما هم بهذا الحديث واذا برسالة قد وفدت من الملكة اوليمبياده تخبره بمولد الاسكندر . ففرح جدًّا ونهض متأهبًا للسفر. ولما قرب من المدينة خرج للقائه عظماؤهُ واخرجوا معهم الغلام. فاخذ الصبي وابتدا يقبلهُ ولما دخل المدينة صنع عيدًا عظيمًا وشكر العناية العلوية الواهبة الناس الخير والصلاح وقال هذا مزمع ان يحررنا من عبودية الفرس ويملك اطراف الارض . ثم امر فيلبس الملك بان يدعى ارسطوطاليس الفيلسوف واذ أُحضر امام الملك قال لهُ ايها الفيلسوف اني قد اسلمتك ولدي ووحيدي الاسكندر . فعلمهُ جميع حكمتك وادّبه بكامل معارفك . فاخذ الصبي بالتعلم ولم يمضِ عليهِ الا ثلث سنوات حتى اتقن شعر اوميروس . وفن الموسيقى

Digitized by Google

والنحو . وشرع في الفلك حتى اولاد المكتب حسدوه على اقباله في العلم. واما الاسكندر فذهب الى والدته وقال لها يا امي اطلب اليكِ ان تسلميني الى نكتينافون الحاذق اذ انه كما قد بلغني ماهرٌ جدًا. فاتعلم منه حكمة المصريين . اي الهندسة والفلك والدوران العلوي والسفلي. فلما سمعت الملكة اوليمبياده قول الاسكندر ارسلت فاحضرت نكتينافون وقالت لهُ هوذا اسلمك ولدي الاسكندر لكي تعلّمه العلم الفائق وخذه مني كولدٍ لك لانه وحيدي وانت اخبر بذلك فتعلم الاسكندر من نكتينافون كل علوم المصريين والكلدانيين والصابيين وكامل احتجاجاتهم والهندسة والاعداد وعلم الفلك بعقل ثاقب الى ان بلغ من العلم اعلى درجة. وفاق كل اقرانه من اولاد تلك المدينة *

الفصل الثاني

وكان عدد الاولاد الذين في المكتب صحبة الاسكندر ثلثماية صبيًا وجميعهم في سن الاسكندر . فاراد الفيلسوف ان يعرف مستقبل الاسكندر وما ياتيه من السعد والتعس *فاقام الاسكندر عريفًا على مِائتي صبي وجمع مايتين ايضًا واقام عليهم عريفًا آخر اسمه بطليموس *وجعل معهم رجلاً آخر اسمه فريونوشي * وقطع لكل

صبي عصا بالسواء. ثم صفهم للحرب والقتال بغاية الحكمة والصناعة
حتى تعجب الناس من حسن وقوفهم * لانهُ كان من عادة اليونانيين
ان يعلموا اولادهم الحرب من صغرهم * فشرعوا في الحرب والنزال.
وكان كل من خرج من الصفين وجُرِح اخرجوهُ من بينهم محتسبينه
مقاتلاً * واما الاسكندر فكان كلما قوي على احد من حزب بطليموس
اجتذبهُ بعنفٍ من ساحة الحرب واخذه اليهِ فلم يلبث الى ان
صارت الاربعماية من حزبه. وبقي بطليموس وحده * ففر هارباً
مجروحاً من الاسكندر * واما الفيلسوف فاذ راى ذلك قال بالحقيقة
ان هذا الشجاع سيرتقي الى قمة المجد ويحوز اسمى المراتب فان الالهة
والارواح مساعدة لهُ * واما الجبان العاجز فليس لهُ من ينجدهُ * ثم
التفت الى الاسكندر وتبسم قائلاً * يا اسكندر قد بزغت شموس
نصراتك فاذا تملكت العالم ودُعيت ملك المسكونة ماذا عساك
ان تفعل من الخير لمعلمك * فاجابهُ الاسكندر بغاية الاحتشام
والرصانة. لا يليق بالتلميذ ان يتكلم امام استاذهِ وعلى امامك ايها
الفيلسوف مرشد الملوك ومعلمهم * فان ملكت ساويتك بي فاكون
محافظاً على المدن والحصون وتكون حافظاً لي وحارسي لان الملوك
لا يستغنون عن اعوانٍ امناء وهم لا يأتمنون الغرباء بل محبيهم ومعلميهم
المخلصين * وهؤلاء يكونون اصحاب مشورتهم ويشاركونهم في السرّآء

والضرّآء *

وكان للاسكندر عادةٌ ان يذهب يوميًّا الى ارسطوطاليس ويبقى هناك من الصباح الى الظهر يتعلم منهُ علوم اليونانيين * ومن الظهر الى العصر يذهب الى نكتينافون لياخذ عنهُ علم الفلك ودوران النجوم والسبعة الكواكب وهي كرونوس وارسيس وافروزيطس وارميس وايراداس والشمس والقمر * ففاق في هذا العلم وعرف حركة كل كوكب منها واذ رأى يومًا امرًا غامضًا أُشكل عليهِ ولم يجد لهُ من مفسرٍ طلب من نكتينافون قائلاً * اوضح لي يامعلمي ما على هذا الدرع. فاوضحهُ لهُ وكان مكتوبًا عليهِ شيءٌ من اخبار الهتهم . وعن مبدإِها وعن اصل عبادة الصابيين لها * فسالهُ قائلاً . اشرح لي عن عظمة الاله الاكبر وعن حالِ الازليين. وكيف جُبل الانسان من الارض وكيف كان بدء وجودهِ * اجابهُ نكتينافون ليس لك ان تعرف هذا لانك لم تبلغ في العلم بعدُ * لان الارضي لايعرف عن الالهُ الاعظم وانما السموي يعلم ذلك بعناية علوية والهامٍ بمقتضى ارادة الله الذي يرزقهُ ما يشآء من الفطنة والحكمة * فهذا ما تسلمناه يا اسكندر من الفلاسفة الذين كانوا قبلنا ونحن نقول بقولهم * فقال اسكندر وانا خاضعٌ لرايك انما اسالك شيئًا . ان تخبرني عن موتك متى يكون * اجابهُ نكتينافون قائلاً على ما تدلني

Digitized by Google

صناعة النجوم مزمعٌ ان اقبل الموت بيد انسان يكون من نسلي *
فلم يصدق اسكندر هذا الكلام بل سخر بهِ مازحاً وامسكهُ بيدهِ
ورفعهُ قائلاً انك قد نسيت صناعتك يامعلم اذ ليس لك ولدٌ *
واذ وضعهُ على الارض جذبهُ اليهِ ايضاً ودفعهُ دفعةً أُخرى قائلاً
قد شخت ولا تدري ما تقول يامعلم * وكان وراءهُ الدرع فلم يدرِ
اسكندر الا ونكتينافون قد سقط متكردساً من اعلى السلم الى
الارض فرفع ميتاً * واذ لم يزل يتنفّس بعد قال لاسكندر اذهب
يا ابني مسرعاً الى والدتك واسالها سرًّا ابن من انت وهي تخبرك
فتعلم يقيناً ان صناعتي لا تخل مطلقاً * وها انا يا ابني اموت واذهب
الى الجحيم حيث الهة اليونانيين مكبلون ومعتقلون * واذ فرغ من
هذا مات * ولما سمع اسكندر هذا صار في فكرٍ عظيم فحملهُ واتى بهِ
الى امهِ * واذ راتهُ قالت لهُ ما الذي صنعت ياولدي. فاخبرها
بكل ما نطق بهِ نكتينافون. وقال لها اعلميني الحق كلّه. فاعترفت
لهُ بكلما حدث لها مع نكتينافون من البداءة الى النهاية * وان هذا
هو ابوك * فلما سمع ذلك بكى بكاءً شديداً وناح وتاسف على موت
ابيهِ نكتينافون * ثم انهُ دفنهُ سرًّا وكتم الامر هو وامه *
واما فيلبس فلم يدرِ شيئاً عن ولادة الاسكندر
بل كان يظنهُ ابنهُ حقيقةً

الفصل الثالث

وفي ذلك اليوم جاء رسول واخبر فيلبس بانهُ قد ولد له بين خيوله مهرٌ عجيب جدًّا لهُ راس عجل ولهُ قرنان واذناه تشبهان اذني العجل وبينهما فسحة طويلة * فلما سمع فيلبس امرهُ ان ياتيه بهِ لينظره فلما رآهُ عجب جدًّا من حسن خلقته لا سيما راسه * وامر ان يبنى لهُ بيت ويعمل في وسطه قبة من حديد ويوضع المهر هناك * واوصى بملاحظتهِ والاعتناء بهِ وان يُعال جيدًا * ورتب لهُ خدامًا مخصوصين لاطعامهِ وسقيهِ * ولم يكن احد يتجاسر ان يدنو منهُ او يمسكه * اما الاسكندر فكان يتردّد عليهِ دائمًا ويضع يده عليهِ من الطاقة ويمسكه من اذنه ورويدًا رويدًا يدنو منهُ الى ان آلف عليهِ وصار عندما يراه يصهل ويلحس يديهِ وياتي اليهِ * وفي احد الايام احضر سرجًا ولجامًا ودخل القبة بعد كسره الباب وسرجهُ ولجمهُ وركبهُ وخرج بهِ الى مكان السباق حيث تجتمع الفرسان مزينةً بانواع الملابس الملوكية. والخيول مرصّعةً سروجها بانواع الجواهر السنية وهم يتسابقون في الميدان ويلعبون بالرماح وبكل انواع السلاح كعادتهم فلم يدروا الّا والاسكندر في وسطهم والملك جالس ينظر اليهم * فاذ راوهُ عجبوا من حسن ركوبهِ على فرس راس العجل *

ونزلوا عن خيولهم وخروا له ساجدين كما يليق بملكٍ واذ كان يطلق العنان لا تدرك الخيل لهُ اثرًا وقد كلَّ من مسابقته الجميع * وكان بذلك المكان عيون ماء غزيرة . فامر الملك وقتئذٍ ان تُبنَى هناك مدينةٌ وتدعى دامة اي سباق * واذ عجب من منظر الغلام وحسن ركوبه على ذلك الحصان وسبقهِ الخيول وهزيمته الفرسان صرخ ياجبال يااتلال يا اودية فلتسمع الجميع ان سيف الاسكندر مع قوة المكدونيين سيحطم ويسحق سيوف الارض وانقلب ضاحكا * وفي ذلك اليوم جمع الملك الف شاب من عمر الاسكندر لطفاء جميلي الصورة اشدا وسلمهم الاسكندر واوصاهم بحفظهِ واطاعتهِ وحيثما شاء يذهب فليذهبوا معهُ * وان يمارسوا استعمال الاسلحة ليتعلموا جميع فنون القراع

الفصل الرابع

وكان في جزيرة الاوليمبوس اي قسم الملكة وهي بقعةٌ في ارض ابلون اسوارٌ شامخة ومناجيق ودواليب عالية عليها تصعد ثمانية انفارٍ ويتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ليعلم الواحد شجاعتهِ الاخر فالاسكندر قصد ان يذهب الى هذه الجزيرة * فلما اطلع ابوه على امرهِ لم يمكنه من ذلك بل قال لهُ انك ولدٌ صغير السن ولم

تبلغ اكثر من اثني عشر سنة وهذا الموضع مخوف والذين به اشدا في الحروب ومعودون على المقارعة والطعان ولا يمكنني ان ادعك ان تذهب لئلاَّ تصيبك نائبةً فتلهب قلب ابيك هذا . فاجابهُ اسكندر انهُ لا بدَّ لي من الذهاب الى هناك لاسجد للصنم أبلون * وانظر الى تلك المناجيق واشاهد القايمين عليها . فحينئذٍ اذن لهُ بذلك واعطاه كلما يحتاج اليهِ واصحبهُ بالشجعان الموصوفة المختبرين في الحروب والوقائع * واخذ من والده اوامرًا ملوكية وذهب الى الجزيرة ودخلها ونظر كلَّ الصنائع اليونانية والمحالّ الفسيحة للملاعب المختلفة * وكان هناك اربع اماكن بها تمتحن الشجعان وتجرب ذواتها فحضر شابان من ذوي الباس من جزيرة الاندلس اسم الواحد لاوميطوشي واسم الاخر كاليسطانوس وكان الاسكندر قد دخل الى المناجيق مع احد خواصه يقال لهُ بطولوماوس فاخذت الاربعة تتراكض بين المنجنيقين ويتضاربون بالرماح فطعن اسكندر للاميطوشي برمحه وبطولوماوس رمى الآخر الى الارض فبهتت شجعان تلك الجزيرة وتعجبوا من ثبات الاسكندر وحربه * وكان بينهم فيلسوف يقال لهُ الفيلسوف السماوي ناظرًا ما قد جرى فقال ليس العقل والشجاعة بكثرة السنين بل قوةً كامنة في الشجاع لامورٍ معلومة عند الآلهة ثم سأل من اين هذا الشاب وما

Digitized by Google

شانهُ فاني اراهُ صغير السن وقد شهد موقفًا هائلاً كهذا وعلى ما ارى انهُ سيفوق على جميع شجعان مكدونيا

الفصل الخامس

واما فيلبس الملك فمرض مرضًا شديدًا ولما سمع اهل الشمال بمرضهِ وهم القومانيون والامنبون والاصاكولانيون وغيرهم انضموا جميعًا الى معسكرٍ واحد. فكانوا ماية وخمسين الفًا واتوا الى نواحي مكدونيا ليحاربوها ودخلوا الى حدود المملكة فاتى الخبر الى فيلبس فازداد حزنًا ووجعًا ونادى اسكندر قائلاً * ياولدي المحبوب لقد آن وقت اظهار الشجاعة والبأس لترفع راسنا وتقيم ملكنا الان الحرب دهمتنا بغتةً فقم الان واجمع عسكرًا واذهب الى اعدائنا وحاربهم على ما تهوى. فتبسم اسكندر وانطلق وجمع عسكرًا من نحو ثلاثين الف مقاتل وجعل في ايديهم السلاح الكامل وذهب الى لقاء القوم * فلما وصل الى المعسكر واستقرَّ العسكران لبث حتى غربت الشمس فركب بغتةً وذهب الى ناحية العدو وعسكر هناك قبالتهُ واوقد نارًا عظيمة حول العساكر * ثم امر بضرب النفير والطبول وآلة الموسيقى. فلما سمع القوم اصوات الموسيقى مع اختلافها وكثرتها وشاهدوا تلك النيران اندهلوا واحتاروا في

Digitized by Google

امرهم اذ دهمهم الخوف ولم يدروا ما يفعلون. فهجم عليهم اسكندر وقاتلهم قتالاً شديداً * والتقى بملكهم ابلاميس في وسط المعركة فبطش بهِ بذاتهِ وقتلهُ. وامسك اكثر شجعانهم احياء بواسطة حسن تدبيرهِ * ثم انهُ وقَّف الحرب ذلك النهار ونادى بعسكر العدو قائلاً يا رجال الحرب اذا كنتم من اهل الخبرة بالحروب فلا خبرة لكم بمكر المكدونيين. فها قد قتلت ملككم واكثر فرسانكم معتقلون عندي وقد كنتم في هذا اليوم تحت خطر الموت جميعكم * فان اردتم ان تحيوا وتبقوا آمنين في ارضكم فاقرنوا بلادكم بمملكتي تكونوا خاصتي وتحت طاعتي وتستريحوا. وكان لما سمع القوم هذا القول اجابوا قائلين ايها الملك اذ كان الله قد قوَّاك واعانك وغلبت كثرتنا وقتلت ملكنا فنحن منذ الان عبيدك. فارسل لنا ملكاً من قبلك ليملك علينا واتركنا ثم حلفوا لهُ اقساماً عظيمة بانهم لا يخرجون عن طاعتهِ. فتوَّج عليهم ابن اختهِ واسمهُ قسطارون وكان قصير القامة عاقلاً جدًّا وصرفهم الى مواضعهم

الفصل السادس

انهُ لما سمع نادزخون ملك البغلاغونيا بهجوم القومانيين على مكدونيا دبر حيلةً خبيثة على فيلبس لانهُ عند ما قدم هذا الملك

Digitized by Google

من محاربة الفرس في بلاد العجم مرَّ بمكدونية ونزل على فيلبس فاضافهُ وصنع لهُ ولكامل عسكرهِ وليمةً عظيمة . وعند ارتحالهِ ركب معهُ وشيَّعهُ . وكان نادزخون قد راى الملكة اوليمبيادة فانشغف بحبها ووقعت من قلبهِ موقعاً عظيماً . فذهب وجمع اثني عشر الف مقاتل وقدم الى مدينة فيلبس ودخلها متظاهرًا بانهُ آتٍ لمعونتهِ . ولم يكن ذلك الا مكرًا ليختطف الملكة اوليمبيادة . واذ رآهُ الملك فيلبس فرح بهِ جدًّا لظنهِ انهُ محبهُ وصديقهُ . وفي اثناء ذلك ورد الخبر الى فيلبس بان اسكندر قد كسر القوم وهو راجع بالعز والانتصار فخرج هو والملكة اوليمبياده للقائهِ * فلما نظر نازدخون الملكة اوليمبيادة خارج المدينة هجم على حين غفلةٍ مع ابطالهِ فخطفها وفرَّ هارباً . فتتبع آثارهُ فيلبس بقليل من الجند فلم يقدر ان يدرك لهُ اثرًا * واذ بلغ اسكندر خطف امهِ لعبت براسهِ الحميَّة فنهض ولحق اثر نادزخون بالفي مقاتل من جنودهِ وهو متهشم مجرَّح بالسيوف وخاض عسكر نادزخون وخلص امهُ من يدهم واتى بها الى ابيهِ فيلبس وقاد نادزخون امامهُ اسيرًا ذليلاً * وعند وصولهِ وجد اباهُ على آخر نسمةٍ من حياتهِ فقال لهُ قم يا ابي ودُس راس عدوك برجلك واذبحهُ . فقام فيلبس وهو ينـــازع وداس راسهُ واستلَّ سيفاً وذبحهُ بهِ وقال ها قد تبدل حزن قلبي

الى فرح • ثم قال لاسكندر ياولدي يدك على اعناق اعدآئك وسيفك يحطم سيوف الارض * ولما قال هذا انحلّت قواهُ ومات

الفصل السابع

لما مات فيليبس الملك بكى عليهِ روسآء مملكتهِ وعظماؤُهُ وجميع سكان مكدونيا وعملوا لهُ مناحة عظيمة • ثم وضعوهُ في تابوت على عجلة من ذهب مرصعًا باللآلي ودفنوهُ • ولما دفن فيلبس اجتمع روسآء مكدونيا واقاموا ابنهُ اسكندر ملكًا عليهم ولقبوهُ بظابط المسكونة • ولما جلس على كرسي الملك امر ان تُكتَب رسائل الى كل مدينة وصقع وكل بقعة في ارض مكدونيا يامرهم ان يجتمعوا باسرهم امامه فلما وقفوا بحضرته خاطبهم قائلاً ايها الاحبآء والاخوة قد علمتم ان ابي قبل وفاتهِ توجني ملكًا عليكم وسلّم اليَّ الملك وهوذا انا ملككم الان. فماذا تقولون وما هو رايكم فابتدا بالكلام اول الوزرآء فيلابوسوس قائلاً لتكن ايامك مديدة يا اسكندر وليس تملكك علينا امرًا غريبًا لانك من زرع ملوك وقد استبشرت اليوم مكدونيا بجلوسك السعيد فثق واضرب بحد السيف ولا يرُعك شيءٌ * وقال وزير آخر لا يحسن بالملك ان يستبدّ برايهِ بل فليشاور مقدّمي الجند وذوي الخبرة والتدبير • كما انهُ لا ينبغي ان يفعلوا هم شيئًا الاّ

بامره ومشيئته * واما رجال الحرب فليكونوا اقوياء شجعانًا وفتيانًا مدرعين بكل آلات الحرب * وتكلم لفقادوش فقال ايها الملك ان المملكة لا تقوم الّا بكثرة الجنود والناس واهل المشورة والملك الذي ليس له اهل مشورة ولا من هم ذوو راي صائب فلا يلبث حتى يضمحل هو ومملكته . فاذا استشرت اهل مملكتك ومن هو خبير بالحروب فهو خيرٌ لك * وقال انتيوخوس وهو وزير آخر يا اسكندر قد يليق بالشيوخ ان لا يفارقوك البتّة واما الشبّان فيخرجون للحرب لانهم اقوياء طبعًا ولهم نشاط الشبوبية * وتكلم لنديفوس قائلاً يا اسكندر الغريب قد صار يليق بنا ان نركب بغتة على الملوك المحيطين ببلاد مكدونيا ونحاربهم ونضيق عليهم لانهم اعداؤنا فلا ندع لهم فرصة لمقاومتنا وقال الوزير الاكبر بطلوماوس ارى ان نغيّر سلاح العسكر وتكون علامتك يا اسكندر على كل رمح وترس وسيف وخوذة وعلى كل رايةٍ سمةً لا تتغير ليعلم الجميع علامة جنودك ويعرفوا انك انت ملكهم وقائد الجيش ومقدم العساكر حتى لا يجد الاعداء علة قائلين مات فيلبس وتبدد عسكرهُ فاعجب اسكندر هذه الاربعة الآراء التي قدمها له وزراؤهُ الاربعة . ثم احضروا النحاسين والحدادين وسائر الماهرين بعمل السلاح من الفولاذ فاجتمعوا في مدينة فيلبس وفرض على الصناعيين وهم الف

ان يصنعوا خُوَذًا تكون كشبه تاج ملك الحيات وان تُعمَل اتراس من جلد الثعابين والتماسيح الكبار وان تُعمَل سيوف ورماح وجميع آلات الحرب ويكون على الجميع علامة اسكندر. وفرض عليهم ان يُخرِجوا كلَّ يوم جهازًا كاملاً اي ما يقتضي لنفرٍ من السلاح دون الجنود والابطال المقدَّمين رُكَّاب الخيل الموشحة بالملابس الذهبية ثم رسم ان يصنعوا اكسيةً وسلاحًا وآلاتٍ للخيل من سروج ولجم وما اشبه ذلك وان تكون كلها من جلد تماسيح من تحت واما من فوق فمذهبة باللولؤ والجواهر فاكمل الصناعيون ذلك بغاية الاتقان وبقدر ما لمكن من السرعة

الفصل الثامن

واذ سمع داريوس سلطان العجم بموت فيلبس ملك مكدونيا كتب رسالةً انفذها اليه يقول فيها هكذا. من داريوس ملك المسكونة الاله الارضي المشرق في العلم كالشمس ضابط الملوك ومولى الموالي اليكم يا اهل مكدونيا. انني سمعت بموت فيلبس شق عليَّ جدًّا وسمعت انهُ ترك لكم موضعهُ ولدًا صغير السن ليس اهلاً للملك. لذلك رحمتكم وامرتكم ان ترسلوهُ الى بلاطي لكي انظرهُ وانظر فطنتهُ وهيئتهُ فان رايتهُ اهلاً للملك ارسلتهُ الى موضع ابيهِ

والا فانني ارسل اهل اليكم قنطركوشي ليملك عليكم من قِبَلي فانهُ رجل حكيم خبير وارسلوا لي خراج ارضكم وعسكرًا لمعونتي فاذا ارسلتم الصبيّ ابن فيلبس فلتكن معهُ هدايا ملوكية تليق بعظمتي لانهُ يوجد في بلاطي اربعون فتى كلهم اولاد ملوك وهم عندي بمنزلة عبيد اعلموا ذلك والسلام

فلما وصل قنطركوشي بالكتاب المختوم بالختم الذهبي حضر امام بطولوماوس وزير اسكندر فاخذهُ بطولوماوس ليحضرهُ امام الاسكندر وفيما هو ذاهب التقاهُ انتيوخس مقدَّم عساكر الاسكندر ومعه رمح اسكندر وسيفهُ وخوذتهُ فوضعها قدَّام قنطركوشي وقال لهُ اسجد لهذا الرمح فاجاب قنطركوشي ان سجدت لرمح اسكندر فانتم مخالفون داريوس ملكي وخالعوا طاعتهِ فاجاب انتيوخس ان ان لم تسجد الساعة لهذا الرمح تهلك بهذا السيف فسجد للوقت لرمح اسكندر* ثم اوقفوهُ بحضرة اسكندر فلما وقف بمجلسهِ نظر اليهِ وهو جالس على كرسي وكان الكرسي مزينًا بالذهب ومرصَّعًا بزمرد اخضر كلهُ وجواهر فاخرة * فتقدم الرسول عند ذلك وسجد لهُ وسلمهُ كتاب الملك داريوس ووقف متعجبًا من بهاء طلعتهِ وحسن ترتيب جلوسهِ* وكان اسكندر لابسًا تاجًا من ياقوت ازرق يلمع مشعشعًا مضفورًا بلؤلؤ كشبه ورق الآس وعن يمينهِ وشمالهِ

مقدَّموا العساكر كلهم متدرعين بسلاحهم وعلى روسهم تيجانٌ ذات هيبة فقريت رسالة داريوس فلما فهم الاسكندر فحوى الرسالة غضب غضباً شديدًا ومن شدّة غيظه مزقها ورماها الى الارض * ثم التفت الى الرسول وقال لهُ لم يكن بمقتضٍ من ملككم داريوس ان يترك مخاطبة الراس ويخاطب الرجلين او لعلّهُ يتخيَّل ان اهل مكدونيا بلا راس * ثم كتب جواب الرسالة هكذا يقول فيها من اسكندر الملك ابن فيلبس والملكة اوليمبيادة ملك جنود المكدونيين المتّشحين بالحلل الموشاة بالذهب والفرسان الموصوفين بالشجاعة الى الملك داريوس * قد فهمت مضمون رسالتك اما ما اشرت اليهِ من ان اذهب واتعبد لك كانني طفل راضع لبنٍ فعلى ما ارى ان اسنانك ستضرس مني كما يُضرَس اكلوا الحصرم. لكن اعلم ياداريوس انني انا اسكندر ملك المكدونيين فاصبر قليلاً وانا آتيك لتعلم من انا عند ما اقهرك انت وعساكرك واتعبد لك كما زعمت. واما الان فان ارسلت قنطركوشي دفعةً اخرى فلا تعود ترى وجهه. واعلم ياداريوس ان المكدونيين ليسوا بغير راس كما تتخيل انت والسلام * ثم طوى الرسالة ودفعها الى الرسول واعطاهُ اسلحة مدونية وخوذة للحرب والامارات الملوكية المعروفة عند المكدونيين ثم اوصاهُ قائلاً اذا عُقِدت حرب المكدونيين مع

Digitized by Google

الفرس فاظهر هذا السلاح عليك لئلاَّ تهلك . واما قنطركوشي
فاخذ الرسالة وتلك الامارات الملوكية من اسكندر وسجد له
وانقلب راجعًا الى مملكة الفرس فلما حضر امام داريوس سلمهُ
رسالة اسكندر فامر ان تُقرَأ فلما سمع داريوس ما فيها ضحك طويلاً
فقال لهُ قنطركوشي لا ينبغي ايها الملك داريوس ان تحتقر مثل هذه
الرسالة من اسكندر وتهزأ ضاحكًا فانني والحقّ اولى ان يُقال ما
ابصرت عيني انسانًا نظيرهُ . ولئن كان فتًى في سنهِ فانهُ في العقل
والفهم والشجاعة يفوق الشيوخ . واما داريوس فلم يلتفت الى قول
قنطركوشي ولا صدقهُ بل كتب رسالةً أُخرى وارسلها مع آخر
اسمهُ كلفتواشي واصحب رسالتهُ بملعبةٍ شبه عجلة لطيفة وفرس
خشب ومعها قضيب. وهذه كانت من الاشياء التي تلعب بها
غلمان اليونانيين زعم ان يركبها اسكندر ويضربها بالقضيب لتجري
بهِ كانهُ صبي وارسل معها صندوقين فارغين كبيرين وحملين من
حب الخردل وكتب في الرسالة يقول هكذا . من سلطان الملوك
والمقتدرين داريوس ملك فارس المعادل الله الى اسكندر * انني
قد ارسلت اليك هذه الملعبة النفيسة التي تليق بالصبيان نظيرك
لكي اذا ضربتها ولعبت بها تدور وتلفت بك وارسلت اليك
صندوقين كبيرين وحملين من حب الخردل اما الصندوقان فلكي

Digitized by Google

تملأها بخراج ارضك وترسلها عاجلاً وترسل عسكرًا لخدمتي مثلما
كان يرسل ابوك . فان قدرت ان تحصي هذين الحملين الخردل
فيمكنك ان تحصي جنودي وعساكري وان خالفت امري ارسل
فاحضرك مغلولاً بالسلاسل الى امامي ولا اعفو عنك فيما بعد. فلما
مثل الرسول بحضرة اسكندر سجد لهُ ودفع اليهِ الرسالة ووضع
امامهُ الصندوقين وحملَي الخردل والعجالة الخشب . فلما فهم اسكندر
رسالة داريوس هزَّ براسهِ وقال الويل لك يا داريوس المتعظم اما
الان فتدعو نفسك الها لكنك سوف تسقط شرَّ سقطة كاذلّ
الناس واجهلهم واحقرهم . ثم تناول بيده ثلث حبات من الخردل
ومضغها ثم قذفها الي الارض وكسر الصندوقين . ثم كتب جواب
الرسالة الى داريوس يقول . من اسكندر ملك الروم ومكدونيا
الى داريوس الفارسي ان هكذا قد صبرت لي صبرًا عظيما وقد
ارسلت لي اللعبة التي تليق بالصبيان على حسب ظنك لكن ليس
كذلك بل اعلم انهُ كما ان هذه العجلة تدور وتلفت قدامي فانني
هكذا مزمع ان الفت اربع اقطار الارض واملكها وأُدعَى ضابط
المسكونة واني ساتي اليك بعساكري واحطمك وابيد اسمك . واما
حب الخردل الذي مضغتهُ وقذفتهُ فهكذا انا مزمع ان أُذهِب
عسكرك بقوة الله السماء والارض بموت شنيع . واما الصندوقان

اللذان بعثت بهما اليَّ فاعلم انني كما كسرتهما هكذا مزمع ان اخرب مدنك وحصونك وقلاعك واهدمها الى الارض لانها خالية من الشجاعة والحزم فحسبك بلاد المشرق تتسلَّط عليها واما ارض المغرب فتحوَّل عنها وارفع يدك منها . ثم طوى الرسالة الى كلفيتوشي واعطاهُ هدايا وتحفًا ملوكية وكميَّة من حب الفلفل وقال لهُ قد بعث اليَّ مولاك بالخردل فمضغتهُ وكذلك سافعل بجيشكم واما انا فابعث اليهِ بالفلفل اشارةً الى عساكري ليعلم من شدَّة حرافتهِ ولذعهِ للفم شدَّة بطشي وباسي وصعوبة ماخذي . ثم صرف الرسول فانطلق • وفي رواية اخرى ان داريوس كان قد رتب على فيلبس ابي اسكندر جزيةً مقدارها الف بيضة ذهب . فلما بلغهُ وفاة فيلبس ارسل فطلب الجزية من ولدهِ اسكندر فابى اداءها وارسل اليهِ يقول ان الطير الذي كان يبيض تلك البيضات من الذهب قد ذهب وطار الى عالم آخر • فغضب داريوس وارسل ثانيةً سفيرًا لاسكندر وبعث اليهِ أُبكُرَةً وعصاً وكيس ضمنهُ بزر . وقصد بالكرة والعصا الاستهزاء باسكندر نظرًا الى صغر سنهِ واشار بالبزر الى كثرة جيوش الفرس . فاخذ اسكندر العصا بيدهِ قائلاً هذا العصا هي عبارة عن قوتي التي بها اضرب كرة مملكتهم مشيرًا الى الكُرَة التي ارسلها اليهِ داريوس • ثم امر باحضار طير فاطعمهُ تلك البزور

Digitized by Google

وقال لسفير داريوس ان أكل الطير لهذه البزور عبارةٌ عن ابتلاع عساكري لجيوش سيدك . ثم اعطاهُ حنظلةً وقـال لهُ أعطِ هذه لمولاك فمتى اكلها وشعر بمرارتها يعلم مرارة نصيبهِ وما سيلقاهُ من يدي. ولعل هذه الرواية اصح من الاولى والله اعلم بالصواب

وبعد ذلك امر ان تجتمع العساكر كلها الى مروج فيلبس فاجتمعت وامر باحصائها فكانت خمس كرَّات من المقاتلين الشجعان . فترك ثلثماية الف مقاتل لصيانة ارض مكدونيا واخذ مابقي الف فقط وارتحل بهم من مكدونيا واتى الى ارض تسالونيكي اي سنانيك وكان اسم ملكها ارشودنيشي فلما سمع ان اسكندر قد قدم لمحاربتهِ جزع منهُ ولم يخرج لقتالهِ بل ارسل اليهِ رسولاً واصحبهُ بذهبٍ كثير وخيل ملوكية منتخبة لخدمتهِ وارسل معهُ ولدهُ المحبوب واسمهُ برلي كراتوشي ومعهُ رسالة يقول هكذا ٭ من ارشودنيشي ملك تسالونيكي الى اسكندر العزيز الكلي المجد والشرف ملك مكدونيا انني قد ارسلت بعض هدايا تليق بجلالك وانا خاضع لامرك وخراج ارضي لخدمتك على حسب قوتي اذ قد سمعنا ان الاهك الاعظم قد ايدك وانت مزمع ان تسود المسكونة وها انا وعساكري خاضعون لك وقد ارسلت اليك ابني ووحيدي كعبيد للملك وان امرتني ايضاً ان آتي واسجد لعظمتك فلست امتنع من ذلك فاسالك ان

Digitized by Google

تصنع رحمةً وتتركني استريح في ارضي لانني شيخ . فقبل اسكندر رسالة ملك تسالونيكي وقبل ولدهُ ثم قال لهُ لاجل طاعة والدك تكون من الآن اخي الحقيقي ثم كتب رسالة الى ملك تسالونيكي يقول هكذا . من اسكندر ملك مكدونيا الى ارشودنيشي . اعلم اننا شكرنا فعلك هذا ليس لاجل الهدايا التي ارسلتها مع ولدك المحبوب بل لاجل طاعتك ومحبتك لان الراس الخاضع لا يُقطَع ابدًا . واما ولدك فيكون عندنا واما انت فاثبت في كرسيك ومملكتك وارسل لنا عشرة آلاف مقاتل وكل عام ارسل لنا ثلاثون قنطارًا من الذهب خراج ارضك فقط وقد زدتك ارض اثينا

الفصل التاسع

ثم ارتحل اسكندر من تسالونيكي واتى الى ارض اثينا وعسكر هناك مقابل المدينة . وكانت اثينا مدينة عظيمة كثيرة الناس مزينة بكل زخرف وجمال . وكان لها شهرة عظيمة في كل الاقطار وكان فيها اثنا عشر فيلسوفًا حكماء منطقيون وهولاء كانوا ضابطين المدينة وموسسين مدارسها ومتفرقين في جميع شوارعها لاجل القضاء واجراء الاحكام بين اهاليها واصلاح ما يقع من الفتن بين اليونانيين وغيرهم حاوين كل العلوم المعروفة في الدنيا . فلما سمع

هولاء ان اسكندر قد اتى لمحاربتهم وانهُ قد جيَّش على حدود البلد اجتمعوا باسرهم في هيكل ابلُّون الههم العظيم ليتشاوروا وينظروا ماذا يصنعون فبعد محاورات كثيرة اتفقوا ان لا يسلموا لاسكندر ولا يطيعوهُ بل يحاربوهُ وكان بينهم حكيمٌ اسمهُ صوفينا اشار عليهم قائلاً ينبغي ياهولاء ان لا نقاتل اسكندر لاننا قد سمعنا انهُ قد اخذ ممالك عظيمة بسيفهِ واخرب ارض القومانيين وغيرهم وقتل ملكهم ازدخون واما ملك تسالونيكي فلاجل طاعتهِ لهُ ومحبتهِ تركهُ في مملكتهِ واحسن اليهِ. فاجابهُ فيلسوف اخر قائلاً انهُ منذ تاسيس مدينة اثينا لم تتعبَّد لملكٍ غريب ولا افتتحها ملك. لان ديونسيوس ملك الفرس اتى وحاصرها الا انهُ لم ياخذها بل انقلب ناكصاً . وبعد ذالك ازدكشي الفارسي اتى بقوة عظيمة وحاصرها بعساكر لا تحصى ولم يقدر عليها بل انكسر مقهورًا وغرق في نهر مكدونيا فاذ ذاك ليس بواجب ان نتعبَّد لابن فيلبس. فاجاب ديوجانيس الفيلسوف الذي هو اعظم الفلاسفة قائلاً اني منذ ثلاث سنين ذهبت الى مشهد اوليمبيادة ورايت اسكندر قد اتى الى الملعب وكان يضرب بمزراقهِ ليمتحن نصيبهُ وقتل اربعة شجعان بمزراق واحد وطعنة واحدة فتلك الساعة نادوا باسمهِ ودعوهُ اول الشجعان المتقلدين بالسلاح الذهبي وكان حاضرًا اذ ذاك فيلسوف آخر

من مملكة اولمبيادة فهذا شهد قائلاً على ما ارى يا اسكندر انك مزمع ان تفتتح مدينتنا وتصير ملكاً عظيماً شديداً تملك آفاق الارض فاشير عليكم يا اهل اثينا ان لا تقاوموهُ ولا تحاربوهُ البتة لانهُ داهية ومجرب وصاحب حيلة في القتال ومع حداثة سنهِ قد انتصر على اكثر الممالك ومعهُ عسكر لا يُحصَى فاسمعوا مني وقوموا نخرج ونتلقاهُ فهو عاقل وحكيم لعلهُ يرحمنا ويدعنا نستريح في ارضنا ولا يوقع بنا البلاء بل يذهب من عندنا الى محاربة رومية. فلما سمع رجال اثينا كلام الفيلسوف لم يُرضِهم قولهُ بل بكتوهُ وسخروا بهِ ونازعوهُ نزاعاً شديداً فهرب منهم وخرج سراً من المدينة الى ان اتى الى عسكر اسكندر واجتمع بهِ وعرفهُ بجميع مشورات الاثينويّين فلما سمع اسكندر كلام الحكيم غضب جداً وامر ان يتأهب العسكر جميعهُ ونهض لمحاربة اثينا. ثم ارسل رسولاً للاثينويّين يامرهم بالخضوع لهُ وكان الرسول صاحب مشورة اسمهُ قنطاسو ولم يحسن التكلم باللغة اليونانية فاحضر اهل اثينا ترجماناً من المكدونيين لمخاطبة رسول اسكندر وسالوهُ قائلين ما هو امر ملكك فاجابهم قد امر سيدي بان تطيعوهُ وتعطوهُ خراج ارضكم وعسكراً لمعونتهِ وتفتحوا ابواب المدينة. وان لم تذعنوا لهُ اخرب ارضكم ومدينتكم وتموتون بحد سيف الملك والمكدونيّين. فلما سمع اهل اثينا

قوله هزأوا به ضاحكين ثم كتبوا رسالة الى اسكندر قائلين ليس من الواجب على مدينة اثينا ولا يليق بها ان تطيعك يا اسكندر ولا انت من ملوك اثينا فلا تطمع في ذلك لان ملوكا كثيرين اتوا من قبلك لمحاربتها ولم تخضع لهم قط اذ انها مملوءة من الحكماء والفلاسفة وحسبك ان تحكم مكدونيا فارحل من عندنا بحزمتك من غير قتال وان لم ترحل جعلناك موضوع هزء بين الناس ۞ ثم قطعوا راس الترجمان امام رسول اسكندر * فلما بلغ اسكندر ذلك أمر ان تنهض العساكر للحرب فاما شجعان القومانيين اصحاب اسكندر فكانوا يرمون اهل اثينا بالنشاب حتى كان يتساقط في المدينة كالمطر من كثرته ولذلك لم يستطع الاثينويون ان يصعدوا على حائط السور ولا يظهروا البتة فضجروا من ذلك وفتحوا باب المدينة بغتةً وخرج منهم لمحاربة اسكندر نحو عشرة آلاف مقاتل ومن ناحية اخرى خرج غيرهم وقتلوا من عسكر المكدونيين نحو خمسماية رجل وصنعوا مكيدة ان رموا نارًا في وسط عسكر اسكندر ۰ واحرقوا كثيرًا من عسكره واوشك ان يحترق اسكندر ايضًا ۰ عند ذلك دار اسكندر حول العسكر كلهِ وشدّدهُ وسجع العساكر وقوى الحراس وذهب الى خيمتهِ وجمع وجوه قومه اصحاب سرهِ ومشورته وقال ماذا نصنع بهولاء القوم فانهم عما قليل يهلكونا بحيلهم فاجابهُ

Digitized by Google

يوجانيس الفيلسوف الذي سبق القول عنهُ انهُ حضر من اثينا
وقال لاسكندر ان مدينة اثينا لن تُوخَذ بالسيف البتة لان فيها
خلقاً كثيرًا وفيها من الابطال والاقوياء نحو عشرة آلاف فاصنع
مكيدة لكي يخرجوا خارج البلاد كلهم فاذا خرجوا كلهم عند ذالك
نرجع عليهم بخيلنا وسلاحنا ونهلكهم ونملك المدينة. فلما سمع اسكندر
مشورة الحكيم استصوب رايهُ ونادي في العسكر ان يرحلوا ويتركوا
في اماكنهم عند الخيام ماية ثور وعشرة آلاف راس غنم . وكتب
رسالة وتركها هناك عند مرقده يقول هكذا يارجال اثينا انني لم
اعرف قوة آلهتكم انها هكذا عظيمة لانني اتيت بكل قوتي لحربكم
فلكونكم هكذا اقوياء فهنذا قد تركت عند مرقدي بقرًا وغنماً
تاخذونها وتنحرونها ضحايا لآلهتكم العظام لعلهم يسامحونا بما اذنبنا
وابعد اسكندر بعسكره من البلد مقدارًا اثنى عشر ميلاً

فخرج اهل اثينا باسرهم الى خيام الاسكندر فوجدوا الغنم والبقر
ورسالة الاسكندر فقرأوها واستهزأوا قائلين من خوفك هربت
يا ابن فيلبس . ثم ان خمساية فارس منهم تبعوا اثار اسكندر
واخذوا يطاردونهُ فقال لهم واحدٌ من المقاتلين انني في هذه الليلة
رايت في حلم ان هيكل بلون قد وقع وابراج المدينة تساقطت
والابواب الرخامية تكسرت ودخل اسكندر الى المدينة راكباً

Digitized by Google

فرسهُ وان المدينة قد امتلأت سنبلاً اخضر ويابساً وان المكدونيين اصحاب اسكندر يحصدون السنبل الاخضر واليابس فاسأَلكم ياهولاء ان ننقلب الى مدينتنا ونقفل ابوابنا ونستريح . فلم يصغوا لقولهِ بل انطلقوا بخيولهم طالبين اسكندر . وكان اسكندر مستترًا في غابة كثيفة منتظرًا خروجهم فلم يشعر اهل اثينا الّا وعسكر اسكندر قد صار قدامهم وخلفهم وضربت النقارات باصوات شديدة هائلة جدًّا وارتفعت اصوات الموسيقى وتعالت جدًّا الى ان سُمِعت الاصوات الى المدينة وانعقد بين الفريقين حربٌ شديدةٌ جدًّا وكانت تسمع لهم اصوات مريعة شديدة فلما رأى اهل اثينا هذه المكيدة من اسكندر خافوا جدًّا وانحلت قواهم ولم يكونوا يدرون ما يصنعون وهم يقولون ويل لنا ما هذا المصاب الذي دهمنا وكيف خلاصنا . ولم يكن قطّ يُسمع الا نحيب وبكاء وعويل وسيوف المكدونيين تذبح اهل اثينا كذبح الغنم وهم يتساقطون على الارض قطعانًا متقطعةً بغير عدد حتى غاص الفريقان في الدماء الجارية كالينابيع . وهكذا دخل العسكر الى مدينة اثينا وهناك كان العجب المريع كيف كانت الرجال تصرخ والنساء يخرجنَ من بيوتهنَّ مع اولادهنَّ بالبكاء والنوح قائلين الويل لنا وكانت تاكلهم افواه السيوف حتى لن شوارع المدينة امتلأت دمًا وكان اسكندر يدور

في الوسط بفرسهِ و يتضرع الى اصحابهِ ان يكفوا عن ذبحهم ولم يقدروا ان يمنعهم عن ذلك. واما ما تبقي من النساء والاولاد فطرحوا انفسهم امام اسكندر عراةً يتضرعون اليهِ بنحيب وبكاءٍ لكي يرحمهم ولم يقدر اسكندر ان يمنع عساكرهُ من ذبح الاثينويين . ثم امر ان توقد نارٌ في البلد فاحترقت البيوت . فلما رأى اصحابهُ النار كفوا عن ذبحهم . وعلت النار حتى ان هيكل ايلون العظيم الذي كان مزينًا بكل زينة وكل صناعة يونانية ولم يكن مثلهُ في كل الارض احترق واحترقت معهُ آلهة اليونانيين . ثم قال وهو حزين لاجل جنون اهل اثينيا وافتخارهم الكاذب تخضبت سيوف المكدونيين بدمائهم وليس لنا ذنب في ذلك . واما من تبقَّى من اهل اثينيا فجلسوا ينوحون مولولين ونادبين . اما ملوك الجزائر الذين كانوا في مايلي حدود اثينيا من جهة البحر فصعدوا الى الجبال الشامخة وسقط عليهم خوفٌ عظيمٌ حتى ان اهل جزيرة قريطش والمغاربة والبندقية واهل سقية والاكودوميين وكل اهل موريا لما سمعوا بخراب اثينيا وخراب هيكلها بكوا بكاءً شديدًا وناحوا عليها نوحًا عظيمًا و قطع عليهم الخوف . ثم ارتحل اسكندر من هناك وسار قاصدًا المدينة العظيمة بعسكر عظيم نحو اربعماية الف مقاتل

Digitized by Google

الفصل العاشر

وبينما كان اسكندر في مسيرهِ التقاهُ كثيرٌ من الملوك ذوي الباس والاقتدار منهم ملك ترسيس وملك كيمودينيا وملك سقلية وملك فونيسيس وملك تريفوليس وقدموا لهُ هدايا عظيمة وتحفًا لا تُحصى وقدموا لهُ عساكر لمعونتهِ واتوا لهُ بخراج اراضيهم خراج اثنتي عشرة سنة وعزموا على ترك ما لكهم لكي ينطلقوا معهُ* فلم يدعهم اسكندر بل قبل هداياهم وامنهم وامرهم ان يرسلوا لهُ في كل سنة خراج اراضيهم وعسكرًا لمعونتهِ كل واحد على قدر طاقتهِ* ثم ارتحل من هناك الى ان قرب من رومية* وكان لمّا سمع اهل روميه بخراب اثينا ارتاعوا جدًّا ووقع عليهم الخوف والرعب وارتبكوا في امرهم فاجمع راي البعض منهم على ان يخضعوا لاسكندر وخالفهم آخرون واطبق الراي اخيرًا على ان يذهبوا الى هيكلهم ليستشيروا آلهتهم في ذلك لعلهم يرونهم في المنام ماذا يصنعون باسكندر فذهبوا باسرهم الى الصنم ليستشيروهُ* ويُزعَم انهُ في تلك الليلة ظهر الههم وقال لهم يا اهل رومية ذوي العظمة لا تجزعوا من اسكندر لانهُ ابني البكر فاذهبوا باسركم الى لقائهِ بغاية الاكرام

وادعوه ضابط الارض

الفصل الحادي عشر

فخرج كل اهل رومية من العظمآء والشرفآء والروسآء والاغنيآء والفقرآء باسرهم الى استقبال اسكندر باحتفال عظيم فخرج مايه وخمسون الفًا من الفرسان المسربلين بالملابس المذهبة وملابس خيولهم موشّاة بالذهب والفضة وبجميع انواع الزينة بهيئة تذهل الناظرين ولا يقدر احد ان يصف الاستقبال الذي استقبل به اهل رومية اسكندر* وخرج في مقدمهم عشرة آلاف من الروساء والعظمآء ذوي الاعتبار راكبين على خيل مزينة وفي ايديهم اغصان من شجر الغار مجدولة بذهب وفضة وكان يتبعهم الفان من الشيوخ الموقرين اصحاب الراي والمشورة راكبين ايضًا خيولًا ومعهم الكهنة وبايديهم مصابيح موقده مزينة بالذهب والفضة واخرجوا معهم فرسًا عليه جلد كركند مرصع بالجواهر وكان سرجهُ قطعة واحدة من حجر الياقوت الازرق وهذا كان من صناعة اهل رومية عملًا يدهش العقول* وقد فقدت هذه الصناعة الآن واخرجوا معهم اسلحة بريامو الجبار اعني سيفهُ ورمحهُ وقوسهُ ونشابهُ التي كان يقاتل

Digitized by Google

بها في حرب مدينة طرواد *واخرجوا معهم ترس تركانوس ملك
رومية العظمى فبهذه الكرامة والتعظيم وغير ذلك خرجوا للقائه*
فلما رآهم فرح فرحًا عظيمًا جدًّا وامر بانتظام عسكر المكدونيين
امامهُ صفوفًا صفوفًا وان يركب رؤوس الجنود المتوشحون بالحلل
الذهبية اولاً واما اسكندر فركب على فرسهِ العجيب ذي القرون
ثم لبس تاج الملكة كلاوبطرا الذي كان فيه اثنا عشر حجرًا كريمًا
ثم خرج مايةً من الخيل فوضع عليها الارغن مع النقارات والطبول
والزمور والنايات والنفير وكل الات الموسيقى وجعلهم صفّين لكي
اذا سكت الصف الواحد يشتغل الاخر بالحان واصوات كانت
تدهش السامعين فلما وصل اهل رومية سجدوا لهُ وهتفوا بصوت
واحد ليكن عمرك مديدًا يا اسكندر ابن الملك فيلبس ملك
الارض كلها * ثم اتت بنات رومية ذوات الحسن والجمال المزينات
بكل زينة فاخرة فكنّ باصواتهنّ المطربة يهنينَ اسكندر ابن الملك
فيلبس ويسجدنَ لهُ ويمدحنهُ . ثم اتى كاهن اهل رومية معا صحابهِ
بمصابيح تتقد وبخورٍ زكيّ الرائحة فسجدوا لهُ * ثم بخروهُ وهتفوا
ليكن عمرك مديدًا ياسيد الارض كلها * ثم دخلوا الى رومية معًا
وانطلقوا في الحال الى هيكل ابلون الصنم الذي كان عندهم عظيمًا
جدًّا . فدخل اسكندر وسجد فاعطاهُ الكاهن هدية ملوكية من

هيكل ابلون كانوا يهادون بها الملوك القدماء لبانًا ومرًّا وبخور الهتهم * ثم اخذ الكاهن قرطاسًا ودفعهُ لاسكندر فناولهُ اسكندر ليوجانيس الفيلسوف ليقرأهُ واذا فيهِ هكذا بعد نهاية الالف من التاريخ يخرج الحمل الوديع ذو القرن الواحد ويسحق قوة الانمار والسباع الثائرين احدهم على الآخر بالعداوة وسفك الدماء الذين قد تعظموا جدًّا . وبعد ان يسحقهم يذهب الى ارض المشرق ويلتقي بالنمر ذي القرون العظيمة التي احدها ممتدٌّ على ارض المغرب والآخر على حدود الشمال فيبطش بهِ الحمل ويضربهُ في قلبهِ فيقتلهُ وترتاح منهُ كل ملوك المشرق وارض فينيقية وتلك الجوانب . ثم يكسر سيوف اهل فارس ويعود الى مدينة رومية العظمى وحينئذٍ يستحق ان يُدعَى ملك المسكونة . فلما قرأها يوجانيس قال مفسرًا لاسكندر ان هذا يطابق رؤيا دانيال النبي لانهُ يوضح ان ملوك المشرق هم الانمار وملوك المغرب هم السباع واما الانمار ذات القرون الممتدة فهي ملوك المشرق وارض الهند . واما الكبش ذو القرن الواحد فهو ارض مكدونيا لان اهلها على ما يظهر لي متفقون مع ملكهم كما يُذكَر عنهم في النبوة ان سيوفهم مسلولة وآلة حربهم معدَّة وانهم لابد ان يحاصروا رومية ويعسكروا حولها . والقرن الواحد هو انت يا اسكندر . فلما سمع اسكندر هذا القول هزَّ

راسه وقال ما اغرب هذا ان الاقوياء سقطوا والضعفاء تمنطقوا بالقوة. فعند ذلك اجتمعت عساكر المكدونيين في وسط رومية مع روساء رومية وعظمائها. ثم ان ملوك المشرق اتوا باسرهم من البلدان البعيدة وسجدوا للاسكندر فامنهم وامر ان يرسلوا له خراج ارضهم عن اثنتي عشرة سنة ثم اطلقهم. وكان مع اسكندر رجل عظيم خبير بالحروب وكان من المتقدمين عنده والمقربين اليه وهو الذي صير اسكندر ملكاً على رومية وجعل ملوك المغرب تعطيه الخراج وتطيعه وتسمع له. وجمع اسكندر مقدارًا عظيمًا من الذهب والفضة من تلك الممالك ووطئ اقصى ارض المشرق وانشأ حروبًا كثيرة مع سلاطين وملوك وقبائل كثيرة وقتل كثيرًا منهم واخرب اراضيهم وعدم مدنهم الى الارض الى ان وصل الى نهر اوكيانوس المحيط بالارض

الفصل الثاني عشر

ومن هناك عاد راجعًا الى جزيرة الاندلس وامر ان يستريح العسكر

ثم امر الملوك والمقدمين الذين في تلك النواحي ان يضعوا

له مراكب كبيرة جدًّا اثني عشر الف سفينة وامر ان يركب في كل سفينة الف مقاتل. واما الفرسان فامرهم ان يذهبوا الى ارض المغاربة في البر ويلاقوه عاجلًا وارسل معهم فيلونيوس وبطلوماوس وزيريه واوصاها قائلًا اذا وصلتما الى ارض مصر ففي مروركم تجمعون من كل مدينة وبلد خراج الممالك من غير ان تظلموا احدًا. وهكذا انصرفوا في طريقهم

الفصل الثالث عشر

ثم امر بانزال السفن المصنوعة جديدًا الى البحر فانزلت ووضع انعيوخس وزيره رئيسًا على ثلاثة آلاف سفينة وفيزندوس وزيره الآخر على ثلاثة آلاف سفينة اخرى. وعلى ثلاثة آلاف سفينة اخرى جعل سلفكيوس الذي مقدمًا على الفرسان والجنود وجعله الرئيس الاعظم. وفي ثلاثة الاف سفينة اخرى نزل بذاته. ثم وجه كلًّا الى جهةٍ اما هو فلم يزل قاصدًا ارض المشرق وبعد اربعين يوم قطعوا البحر المتوسط فوصل اسكندر اوّلًا مع سفنهِ كلها الى ان اتى الى نهر النيل فامر ان تبنى هناك مدينة وسمّاها الاسكندرية نسبةً الى اسمهِ. ثم وصل سلفكوسي الى ارض كليكا وهي قرمان وابتنى هناك مدينة حصينة ودعاها سلوكية ووصل الى انطاكية

Digitized by Google

ووصل ايضاً فيزايديوس مع سفنهِ الى بحر اسكندر وابتني هناك
مدينة وسماها البظنطيه وهي التي تدعى الان القسطنطينيةّ * هذا
وكان اسكندر مغتماً بسبب السفن والوزرآء لانهُ لم يكن بعد قد
وقع لهم على خبر فبعد ايام قليلة وفد ثلاثة رسل من قبل وزرائهِ
الثلاثة فلما قرأ رسائلهم فرح جداً ولاسيما بالمدن التي ابتنوها ثم وفدوا
بعد مدةٍ باجمعهم الى عسكر اسكندر وابتنوا هناك مدينة اخري
ودعوها ثلاث قلاع . ثم مكث هناك مدة ايام الى ان اجتمعت
الفرسان الذين ارسلهم براً فحضروا كلهم وحضر الوزيران فيلوتيوس
وبطلوماوس واخبروه بالحروب والمعارك التي انشأُوها في مسيرهم
في بلاد المغاربة والحبشة والديلم وغيرهم من القبائل واخبروهُ باسمآء
الملوك الذين كانوا متسلطين علي تلك البلدان وكانوا قد قبضوا
علي اكثرهم واحضروهم قدام اسكندر مقيدين فاعطاهم الامان
وحلهم من الوثاقات وحلفوا لهُ بان يكونوا تحت طاعتهِ * ثم امرهم
ان يحملوا له خراج اراضيهم وعسكراً لمعونتهِ متسلحاً كل واحدٍ
بحسب طاقتهِ ثم صرفهم وارتحل الى نواحي اسيا وابتنى هناك مدينة
ودعا اسمها طرابلس * ثم ارتحل من هناك واتى الى نواحي افريقية
وعبر الارض الى ان اتي الى مدينة طرواد التي خرجت من شدة
حروب اليونانيين لاجل امراةٍ اسمها هيلانة ابنة الملك ميلانافون

Digitized by Google

ملك ليكيمودونا * وكان براموس ملك افريقية في زمان خراب
طرواد وكان لهذا الملك برياموس ولد اسمه باريسي خطف هيلانة
واتى بها الى مدينة طرواد فشق على اهل ليكيمودونا خطف ابنة
ملكهم ميلانافون فجيّش هذا الملك وجمع عساكر ارض كيلكيا جيشاً
عظيماً لا يُحصَى وما برحت الحروب متصلةً بين الفريقين الى ان
خربوا طرواد. ومن قرأ تاريخ هذي المدينة والحروب التي جرت
يعرف كم من الجبابرة والشجعان والابطال الذين كان لهم شهرة في
المسكونة قتِلوا بحدّ السيف لاجل هيلانة وعدد الذين قتلوا في
الحروب التي جرت اذ ذاك الف وتسعماية الف * ولنرجع الى ما
كنا في صدده من تاريخ اسكندر فاتى اهل طرواد وسجدوا لهُ بوقارٍ
عظيم واحضروا لهُ هدايا كثيرة واسلحة ملوكية. واتوهُ بترس اشيلا
الجبار الذي كان منقوشاً عليهِ صورتهُ على نوعٍ بديع. وكان هذ
الترس متموّج الالوان كثيرها كجناح الطاوس وكانت عليهِ صور
انسانٍ مولفة من الحجارة الكريمة على صناعةٍ غريبة. فلما نظر
اسكندر اندهل وعجب منهُ. ثم اخرجوا لهُ وشاح الملكة افريسياد
امراة اشيلا وكان كلهُ موشّى بذهب ابريز مرصعاً بحجارة ثمينة جداً
ولما خربت طرواد قتِل اشيلا هذا بسيوف اليونانيين فقتلت
نفسها على قبرهِ فاثنى عليها اسكندر جداً لانها حفظت حبهُ

Digitized by Google

لبعلها. ثم اخرجوا لاسكندر كتاب أميرس الفيلسوف الذي ذكر خراب طروادة كما حدث من ابتداء الحرب الى انتهائها فقرأه ومن هناك عرف كم من المتقاتلين والابطال والشجعان الذين قتلوا حينئذٍ

الفصل الرابع عشر

ثم ارتحل اسكندر من هناك بجيشه وذهب قاصدًا ارض فارس ليقاتل داريوس ملك الفرس وسيأتي ذكر ذلك . فلما سمع داريوس بذلك ارسل الى اسكندر رسولاً ثالثًا ومعه رسالة يقول فيها هكذا . من داريوس ملك الفرس الاله الارضي الى اسكندر . اعلم انني كنت مزمعًا ان ارسل اليك جنودي لاحضرك امامي مقيدًا مغلولاً لانك خالفت عهود ابيك ووطئت مراسمي ولم ترسل لي خراج ارضك ولا عسكرًا لخدمتي بل تمردت . فالان بحال وصول رسالتنا اليك تحضر الى بلاطي من غير خلاف وان عصيت مرسومي هذا احضرك قسرًا ورغمًا في حالة الذل والهوان انت وجماعتك ايضًا . فقرأ الاسكندر الرسالة وكتب الجواب قائلاً . يا داريوس اني وافد اليك سريعًا بقوة اله السموات والارض ومعي عساكري * واما زعمك بانك تحضرني انا والمكدونيين مغلولين

فسوف ناتيك عن قريب لكي احطمك واقتلك وابيد ذكرك من الارض واعلم ان ايامك السعيدة قد انقلبت منذ الان الى احزان وغموم لانك ظننت اننا جبناء بل نحن كحجر الماس الذي لا يوثر فيه سيف ولا رمح فها انا وافد اليك لاقهرك واستولي على مملكة فارس لست تجاسران ادعو ذاتي الهاً كما تدعي انت المفتخر بالهتك الصم العمي وهل تظن ان اهل فارس يقفون امام المكدونيين في الحرب والقتال وهم بآرائهم كالنساء وعسكري كالاسود في وقت القتال فها قد انذرتك فتحذر منذ الآن ولا تفرّ او تختبي لئلا تهلك مباداً. فلما قرأ داريوس رسالة اسكندر غضب جداً وسال الرسول قائلاً اخبرني كم عمر اسكندر وكم معهُ من المقاتلين فقال هو ابن ثلاثين سنة وهو على جانب عظيم جداً من الجمال والشجاعة في الحروب والسخاء في العطاء ومعهُ خمساية الف مقاتل شجعان. فاجاب داريوس بالحقيقة ان هذه الامارات ملوكية عظيمة ان كانت كما زعمتم لكنني لا اصدق انهُ يتجاسر ان ياتي الى حدودنا. وبعد ذلك امر داريوس ان تجتمع عساكر العجم كافةً في موضع واحد فاجتمعت العساكر باسرها وحينئذٍ كتب داريوس رسالة الى ارض فلسطين وبيت المقدس ومصر وكيليكيا قائلاً لا تجزعوا من اسكندر لانني مزمع ان اقتلهُ لاعتقكم من جوره. واما اسكندر

فانهُ اتى بعساكرهِ الى بيت المقدس ارض يهوذا حيث كانت اليهود مجتمعين وكان لهم وقتئذٍ ملوك مكرمون في بيت المقدس من نسل ابراهيم عليهِ السلام وكانوا يعبدون الله عزَّ وجلَّ . فارسل لهم اسكندر رسولاً ومعهُ رسالة يقول فيها هكذا . لكم اقول يارؤساء اليهود القاطنين اورشليم العابدين الاله الاعظم السلام لكم افرحوا ولا تجزعوا انتم العابدون لهذا الاله فلما قرأُوا رسالة اسكندر ارسلوا اليهِ واحدًا منهم وكان رجلاً فصيحًا بالنيابة عنهم فاجاب اسكندر اسمع شيء ما انا مخبرك بهِ . اعلم باننا من حين خرجنا من البحر الاحمر لم نخف من ملك بقوة الهنا الضابط الكل فلما عصينا الهنا اسلمنا الى يد بختنصر ملك فارس وبقينا زمانًا طويلاً تحت طاعتهِ حتى الان وان كنا رجعنا الى مواضعنا الا اننا تحت يدهِ وليس نحن فقط بل جميع المسكونة طائعة لهُ . فان اطعناك يا اسكندر العزيز خشينا من داريوس لانهُ يرسل فيخرب اورشليم ويبيد اهل فلسطين فان باطشت داريوس واهلكته ورجعت منصورًا الى اورشليم فنكون بطاعتك فلما فهم اسكندر مقالة اليهود الموجودين في اورشليم اجابهم قد فهمت جميع ما بعثتم بهِ اليَّ لكن لا يليق بكم انتم الذين تعبدون الاله الحي ان يسودكم رجلٌ كافرٌ وحشٌ فاوصيكم منذ الان وصاعدًا ان لا تطيعوهُ البتة ولا ترسلوا لهُ

خراجاً ولاهدايا ولابد لي ان احضر واسجد للاله الحي في ما بعد واقصد حرب داريوس واعلموا هذا ايضا انني سوف اعتقكم عاجلاً من عبوديتهِ

ثم ارتحل اسكندر بجيشهِ كلهِ وقصد مدينة اورشليم للسجود فلما سمع رئيس الكهنة بحضور اسكندر جمع اليهود الساكنين في اورشليم كافة واشار عليهم قائلاً الان الاصلح بنا ياهولاء قبول اسكندر ليدخل الى اورشليم لاني في هذه الليلة رايت حلماً واذا بدانيال النبي يقول لي ان هذا الملك اسكندر الاتي اليكم مزمع ان يعتقكم من يد الفرس. فارتضى بهذا الكلام اليهود جميعهم وفي تلك الليلة راى اسكندر في حلمهِ ارميا النبي قائلاً ادخل يا اسكندر الى اورشليم واسجد لاله السماء والارض رب الجنود الضابط الكل واذا سجدت فاذهب حينيذٍ الى داريوس وقاتلهُ ونبيدهُ وتهلكه وتُدعى ملك فارس. فلما انتبه اسكندر قص الروءيا على روساء دولتهِ ثم ارتحل بعسكره قاصداً زيارة اورشليم. فلما قرب من المدينة امر رئيس الكهنة جميع اليهود ان يخرجوا لملاقات اسكندر واما رئيس الكهنة فلبس حلة الكهنوت جميعها واخذ معهُ الف رجل من سبط لاوي متوشحين بحلة الكهنوت واخذ معهُ الف رجل آخرين وفي ايديهم مصابيح تتوقد وغيرهم بمجامر البخور والقناديل وغير ذلك وهكذا دخل الى مدينة اورشليم وسجد في الهيكل المقدس ثم حدثه بامر سليمان الحكيم وانه هو الذي

في الهيكل ثم سأله اسكندر قائلاً اي اله تعبدون اجابه اننا نعبد
الهاً واحداً وبه نعترف وهو الذي صنع السماء والارض وكل
العناصر اله الآلهة ورب الارباب ليس اله قبله ولا بعده وهو ينظر
الى الكل ولا يرى فلما سمع اسكندر اضطرب من ذلك وتعجب
قائلاً قد علمت انكم انتم للاله الحي وانا قد امنت به واعترفت به
واسجد له واجده واسبحه واهبكم الخراج والاموال التي ازمعت ان
آخذها منكم كباقي المدن والبلدان واهلكم هذا منذ الآن يكون الهي
رحمته ومحبته تكون معنا واما الكاهن اتى بذهب كثير معه لاسكندر
لم يقبل منه اسكندر شيأً بل قال هذه فلتكن هدية للاله الحي
وامر بحمل تلك الهدايا الى الهيكل

الفصل الخامس عشر

ثم ارتحل اسكندر بعساكره من بيت المقدس وقصد مدينة
مصر فاما اهل مصر فكان قد اوصاهم ملكهم نكتينافون الفيلسوف
الذي سبق القول عنه قائلاً انني لا استطيع ان احارب داريوس
الفارسي فهوذا انا ذاهب من عندكم شيخاً وسيوافيكم ابني اسكندر
شاباً فهذا يقاتل داريوس وينتقم من تمرده وها تمثالي عندكم وقد
وضعت تاجي على راس الصورة فمن اتى بعدي الى تحت تمثالي

Digitized by Google

ووقف هناك ووقع التاجُ على راسهِ فذاك هو اسكندر. اما المصريون فبعد مدة نسوا قول ملكهم وخالفوا وصيتهُ وعصوا وتمردوا وهموا ان يحاربوا اسكندر وكانوا في اختلاف قوم منهم يؤثرون الحرب وآخرون لا يريدون ذلك فقوي راي المبتغين الحرب وعزموا على محاربة اسكندر ولكنهم لم يجترئوا على ذلك. فلما وصل اسكندر واحاط بالمدينة وعقد الحرب بينهم شديداً فمن شدة حرارة الشمس بقوا الى اليوم الثاني. وكان بقرب المدينة بركة ماء بارد جداً فنزل اسكندر ليسبح في تلك البركة ويستبرد فلما صادفتهُ برودة الماء اعتراهُ وجع في أعصابهِ ومرض اليم واما عسكرهُ فخاف خوفاً شديداً واذ سمع بمرضهِ المصريون داخل المدينة عزموا على ان يدبروا حيلةً خبيثةً يهلكون بها اسكندر واذ خابوا من قصدهم كتبوا رسالة الى طبيب اسكندر وكان اسمهُ فيلبس الحكيم الكبير قائلين ان انت اهلكت اسكندر بادويتك وارحتنا منهُ جعلناك ملكاً علينا وعلى ارض مصر كلها كيوسف الصدّيق ويدعى اسمك عظيماً عند سلطان الملوك داريوس. فلما قرأ الحكيم الرسالة انقلب ضاحكاً ومستهزئاً بهم وللحال كتب لهم جواباً قائلاً يا اهل مصر المتوحشين والعديمي الفهم اسمعوا. لو كنت اهوى ان املك مصر لكان سيدي اسكندر وهبني اياها حالاً لكن اعلموا ان عندي شعرة من راس

Digitized by Google

سيدي اسكندر تساوي ملوك الارض كلها. وعمَّا قليل سترونهُ على فرسهِ الاعظم مقبلاً اليكم فقرأ اهل مصر رسالة الحكيم فيلبس فعجبوا من حسن امانته لسيدهِ واخلاصهِ لهُ فخافوا من ذلك وكتبوا رسالة اخرى وختموها وبعثوا بها الى اسكندر قائلين يا اسكندر لا تأمن حكيمك فيلبس ولا تركن اليه لانهُ منزمع ان يتملك فاحذره وها نحن لك من الناصحين فاتوا بالرسالة الى انتيوخس واحضرها الى اسكندر فقراها وابقاها في يده. وفي تلك الساعة اتى الحكيم فيلبس الى اسكندر ومعهُ ادوية في قدح بلور صافٍ وقال لينهض سيدي اسكندر ويشرب هذا القدح لكي يتعافى. فجلس اسكندر وتناول القدح بيدهِ ورفعهُ متنهدًا وقال لعلَّ هذا القدح لصلاحي ففطن الحكيم للوقت بما صار من المصريين واخذ القدح من يدهِ وشرب نصفهُ ثم دفع ما بقي منهُ الى اسكندر فشربهُ كلهُ حينئذٍ دفع رسالة المصريين الى الحكيم فقراها وهز براسهِ وتمرمر وبكى بحرقة حزن من كثرة حبهِ للاسكندر واجابهُ قائلاً يا اسكندر العزيز لو اكون علة موتك فياليت شعري اي ملك او اي سيد او اي حبيب اجد مثلك اليوم او لا اعلم ان موتك هو سبب شر عظيم وسفك دماء في جميع الممالك اجابهُ اسكندر قد علمت عظم محبتك لي وان هذا الامر ليس الا من مكر المصريين وخبثهم. ثم رقد اسكندر

ذلك النهار جميعهُ واستراح ثم افاق عند المساء وامر بان ينادوا بالروساء ومقدمي الجنود والعسكر ليتناولوا العشاء معهُ

ثم رقد تلك الليلة واستراح وفي الغد امر ان يتاهب العسكر للقتال وشرع يحارب المدينة واحاط بها العسكر من جميع جوانبها وضربت الطبول وعُقِدَت الحرب وكان النشاب يتناثر داخل المدينة كالمطر حتى احتجبت الشمس ولم يقدر احد ان يصعد الى حائط السور ويظهر عليهِ * فلما رأى المصريون هذا افتتنوا داخل البلد واختبطوا جدًّا وعرفوا ان هذا هو اسكندر ابن نكتينافون وفطنوا بالوصية وصرخوا قائلين ارحمنا يا اسكندر ابن نكتينافون ملك مصر سيدنا * فامر ان تكفَّ الحرب عنهم ثم دخل اسكندر الى المدينة وسالهم قائلاً كيف علمتم انني ابن نكتينافون ملككم * عرّفوني حقيقة قولكم هذا فاخذوا يقصون عليه جميع كلام نكتينافون لهم واخبروهُ عن الرسالة التي ابقاها عندهم فذهب اسكندر وقرأ الرسالة وكان مكتوبًا فيها هكذا لا استطيع ان احارب داريوس الفارسي وها انا ماضٍ من عندكم شيئًا ولكن بعد ثلاثين سنة سيأتيكم شاب فهوذا صورتي مشخصة على العامود الذهبي الذي في وسط المدينة والتاج موضوعٌ على راس الصورة فمتى اتى الى العمود ووقف تحت الصورة ووقع التاج على راسهِ فتعلمون ان

هذا ابني وتطيعونهُ. فلما راى ذلك اسكندر اتى ووقف تحت العمود مقابل الصورة فسقط التاج على راسهِ حتى تحيرت سكان مصر من ذلك الامر الغريب فامر اسكندر ان تركز اربعة اعمدة عالية في وسط المدينة في موضع مرتفع مصورة على العمود الاول صورتهُ من ذهب نقي وصوَّر على العامود التاني صورة بطلوماوس وعلى الثالث انتيوخس وعلى الرابع فولونيوس البطل ووجَّه تلك الصور الثلاث الى نحو المشرق واما هو فجعل صورتهُ اعلى منهم وهو ناظر الى مدينة مصر وبيدهِ سيفٌ مسلول * ثم انعم على الحكيم فيلبس ان يتسلط على جميع ارض مصر. ووجد اسكندر في مصر كنوزًا كثيرة من ذهب وفضة وفرقها على عساكرهِ وفي غضون ذلك اتى روساء اهل مصر واخبروهُ قايلين اعلم ان داريوس ملك فارس قد اتى بعساكر لاتحصى وقطع نهر الفرات فلما سمع اسكندر ذلك امر بتاهب عسكرهِ واحصاهم فوجدهم الف الف رجل وخمساية الف من المشاة والباقي فوارس واما عسكر داريوس فكان الف الف فارس وتسعماية الف راجل وفي تلك الليلة قبضوا على جواسيس من عسكر داريوس واتوا بهم الى اسكندر فامر بان يخوفوهم بالعقاب الى ان يعترفوا بكل قوة داريوس وكم معهُ من العساكر وابقاهم عندهُ الى الليلة المقبلة فلما جنَّ الليل واختلط

الظلام امر اسكندر عساكره ان كلاً منهم يشعل نارًا وحدهُ. ثم
امر بان يخرجوا جواسيس عسكر داريوس ويروهم ذلك فتعجبوا
واندهشوا * ثم اطلقهم ليذهبوا الى عسكر داريوس ملكهم واوصاهم
قائلاً اذا عقد الحرب بين المكدونيين والفرس فاحتفظوا ليلا
تهلكوا وتبادوا وقولوا لداريوس لاينبغي ان تغيب عن عسكرك بل
تحضر الى القتال لانهُ حيثما كانت العجلات الذهبية المصنوعة من
انياب السباع والاشخاص والخوذ الذهبية والنفير والنقارات
والطبول والخيل المغطاة بالسلاح فهناك هو اسكندر وهناك
يجدني داريوس فلما اوصاهم بهذا اطلق سبيلهم فذهب الجواسيس
الى داريوس واخبروهُ بكل ما شاهدوهُ عيانًا وبما نطق بهِ اسكندر
فلما سمع داريوس امر بقطع السنتهم لكيلا يسمع عسكر فارس
مديح اسكندر ثم ان داريوس اراد ان يتقدم ويباشر الحرب بنفسهِ
مع اسكندر فمنعهُ روساؤهُ قائلين لا يليق بملكك وعزك ان تحضر
انت بذاتك وتقاتل اسكندر لانهُ شاب وجبان واحقر الملوك فاعجبهُ
هذا الراي فنادي حينئذٍ لوزيرهِ الاعظم سيما دون الذي كان قائدًا
لعساكرهِ وكان لهُ شهرةٌ في الشجاعة والفروسية في ارض الفرس فقال
لهُ داريوس قم اذهب وخذ معك من عسكر الفرس ستماية الف
ومن النيوبد ميئتي الف واربع ماية الف من رماة القوس واذهب

معهم واقطع الفراة واينما صادفت اسكندر فقاتلهُ وأتني بهِ حياً فان ولّى هارباً فالحقهُ وطاردهُ الى اخر الارض واذهب في سعدي واله الفرس هو معك . فاخذ وقتئذٍ العسكر وقطع بهم الى الجهة الاخرى من الفراة ونظر عسكر اسكندر تحضر للقتال فاذ راى اسكندر عساكر الفرس قد اقبلت امر بان يستعد العسكر وركب على فرسهِ ذي القرون ثم تكلم قايلاً يا اخوتي واولادي الشجعان المجربين في الحروب والمعارك ايها الابطال الاسد الضارية المحبوبين مني والمنتخبين في ركوب الخيل في يوم الوغى المتسربلين بالحلل الذهبية نعمة الاله وستره ورحمته تظللكم انكم تعلمون بذهابنا الى اورشليم اذ سجدنا في هيكل الاله الاعظم وبمعونته غلبنا اعدانا وتملكنا على رومية ومصر وما يحوط بالبحر وجميع الممالك قد اخذناها وها الان قد وصلنا الى مملكة داريوس الفارسي فان غلبنا هذا وهزمناه مقهوراً فاعلموا اننا قد سدنا العالم وان هو هزمنا وانتصر علينا فلا نقدر فيما بعد ان نفلت من يدهِ ولا يبقى لنا ملجا في كل الارض فالأَولى بنا ان نموت اليوم في الحرب من ان نُقهَر ونولي من امام اهل فارس وانما ليكن عندكم معلوماً اننا سنقهرهم ونحطمهم لان الملك داريوس ليس معهم واذ هم بغير راس فليس لهم عزم ولا قوة وانتم مع ملككم فانتم كالذئاب الخاطفة بين الغنم وبقوة الاله تحطموهم لان ليس لهم

قلب بل هم ضعفاء كالنساء وفي هذه المعركة تظهر شجاعتكم وساعة واحدة ان يحتملوا سيوفكم بل يولوا هاربين ولما اكمل كلامه ركب على الحصان الاعظم ذي القرون ثم وضع الخوذة على راسهِ وقسم العسكر ثلاثة اقسام واستقام للحرب ثم شكر الاله الاعظم وصلى ولحق بعسكرهِ وارسل امامه لاين وانتيوخس وبطلوماوس فوصلوا حالاً ووقفوا بازاء الفرس وعقد الحرب بطعن الرماح الى ان تكسرت رماحهم فاستلوا سيوفهم وجهاً لوجه الواحد مقابل الاخر فلم يحتمل الفرس ان يقفوا قبال سيوف المكدونيين بل ولوا من امامهم مكسورين مجرَّحين واسكندر من خلفهم ولم يزالوا يطاردونهم ويذبحونهم الى ان اوصلوهم الى خيام داريوس فلما راى هزيمة عسكره ركب فرسه وولى هارباً فامر الاسكندر بان يدفنوا القتلى من الفرس واطلق الاحيا منهم واوصاهم قائلاً قولوا لداريوس ملككم حسبك ان تحكم في مملكة الفرس بل ارسل خراجاً وعسكراً لمعونتي وهوذا قد قتلت وزيرك الاعظم فياندون ثم نهض وعبر نهر الفراة مع عساكره الى تلك الجهة ولما قطع النهر امر فخربوا جميع الجسور ثم التقى العسكران ايضاً عبر النهر وعقد الحرب بينهم شديداً مرةً ثانيةً وكانت تسمع لهم اصوات هائلة من الصفين من طعن الرماح والحراب وضرب السيوف وصهيل الخيل وصراخ العساكر

Digitized by Google

واصوات تتزاعق وعويل ونحيب ومن كثرة الغبار الصاعد والدم
الجاري بقيت الارض ترتجف في ذالك اليوم من اول النهار الى اخره
وانكسر عسكر الفرس دفعة اخرى مهشّمين ملطخين بالدم السائل
من جراحاتهم وولوا من امام الاسكندر والمكدونيون يطاردونهم
ثلاثة ايام وثلاث ليالي فقتل من عسكر الفرس اربعماية وأُسر منهم
الف ومايتا الف الف احيا واتى بهم الى اسكندر فاوصاهم قائلاً لا
تعاودوا الى الحرب من الان ان اردتم استبقاء حياتكم ثم امر باطلاقهم
واما داريوس فانه هرب مع قليل عسكر وذهب فدخل مدينة
بغداد واسكندر يتبعه من خلف طارداً له الى ان وصل الى مدينة
بغداد وعسكر حول البلد ولم يدعه سكانها ان يقرب منهم لان
المدينة كانت حصينة متينة جدًّا وكان نهر عظيمًا حول المدينة
داخلاً في وسطها ومن شدة جريانه لم تقدر خيل الاسكندر ان
تخوض فيه فذهب اسنكدر مع اصحابه الى جانب النهر من فوق
وضرب خيامه هناك وامر ان تحفر خنادق فيما بين العسكر وحفر
بقرب النهر خندقًا غريضًا عظيمًا لكي يحول ماء النهر في الخنادق
وفي ليلة ما حضر عيد لاهل مدينة بغداد فذهبوا باسرهم الى هيكلهم
ليعبدوا الههم وفي تلك الليلة بعينها حول اسكندر ماء النهر الى
الخنادق المصطنعة وركب حالاً مع اصحابه ودخل المدينة من

Digitized by Google

مجرى النهر وامر ان توقد نيران في اطراف المدينة فلما شاهد سكان
المدينة هذه المكيدة ونظروا النيران حولها صرخوا باصوات عظيمة
قائلين ارحمنا يا اسكندر يا ملك بغداد وسيدها ثم انوا وسجدوا
له باجمعهم واتوه بهدايا جزيلة مخافة منه واقروا له باموال داريوس
كلها وكانت تبلغ الف الف قنطار من الذهب واتوا اليه ايضا
بالف فرس من الخيول الملوكية المنتخبة وقدموا له ماية سبع مجرومة
كلها بسلاسل ذهب وفضة والف نمر للصيد ومن الخيل العربية
خمسماية منتخبة واثني عشر الف اناء واثني عشر كاس كلها من
ذهب نقي ابريزي مرصعة باللآلي والف صحن كبار من ذهب
خالص مرصعة ايضاً بحجارة ثمينة لاتحد قيمتها وثلاثة الاف سرج
الخيل لايعلم بها حديد وديباجات الملك فارس المرصعة بحجارة ثمينة
وتاج الملك صوصوخوس الذي ملك المسكونة ومايدة قطعة
واحدة من زمرد اخضر وهذه المايدة من ذخاير داريوس كان
ياكل عليها واما الاسكندر فانه اقام في بغداد ثلثين يوماً فلما بلغ
داريوس ان اسكندر قد حاصر بغداد وافتتحها اشتد ذلك عليه
واغتم جداً وتاوه وبكى قائلاً الويل لي انا داريوس المتعظم لانني
اتنازل لان اتكلم مع ناس ارضيين ودعوت نفسي الهاً فقد خذلت
الان وانحط شاني عند كل الناس واضعت كرامتي وصرت اشد

Digitized by Google

كل الناس اذا ان احقر كل ملوك الارض اتى وافسد مملكتي واهلك عسكري وحطم قوتي كم من الحصون والقصور ملكت واهلكت اهاليها ومقتدريها والان قد حضرت مجازاتي المقسطة كلن اولى بي لو قتلت في حرب المكدونيين من ان اعيش حياة ذليلة ثم التفت الى رئيس قواده افيسوس الذي احبه جدًّا وقال لهُ ايها الشهم المحبوب هل تقدم ان تقتل اسكندر وتعتق كل اهل فارس من تمردهِ وتقديهم بروحك ليتذكروك الى ابد الدهر فلستُ اطلب تحرير مملكتي الان الّا منك يا اخي * فلما سمع افيسوس قول داريوس صعدت النخوة الى راسهِ واخذته الحمية والغيرة فذهب ولبس كلباس المكدونيين وتسلح بسلاحهم وركب واتى الى ان وصل الى عسكر اسكندر واختلط بينهم فراى اسكندر امام خيمته وهو راكب على الحصان الاعظم يحصي العسكر فاقترب منه افيسوس واستل سيفهُ وضربه بجده ضربةً قاتلةً فجاءت الضربة على راس خودتهِ فحلقها كما يحلق الشعر بالموسى فصرخ اسكندر قائلاً سيفكَ مكدوني لكن اليد ليست مكدونية بل من شجعان فارس ولما رقت اخذوا السيف من يدهِ ولم يدعوه ان يثني بضربة اخرى * ثم اخذوا خودته عن راسهِ واوقفوه لقدام اسكندر فسالهُ من انت يا انسان ومن اين اتيت

فاجابه انا افيسوس رئيس قواد داريوس فلم احتمل ان ارى ملكي مغتمًا واتيت لاقتلك يا اسكندر واعتق سيدي من عطبك ولو خسرت حياتي الّا ان الله لم يشاء موتك

فاجابه اسكندر يا عديم العقل والتمييز انت قد اكملت وصية صاحبك وكدت انا عما قليل قتيلاً من يدك لكن ماذا ينفعك الان صاحبك داريوس وانما لانك اخلصت لسيدك وخاطرت بنفسك عنه للموت ولم تشفق على حياتك هوذا انت معتوق مني الان ولا احدًا يضع عليك يدًا واما الامر الذي تجاسرت انت عليه فلم يتجاسر عليه احدٌ قبلك فاذهب الى داريوس وقل لهُ ان يعاود الى رشدهِ ويسلم لي ويزيل عنه الافتخار الباطل ويعطيني خراج فارس وعسكرًا لمعونتي ويبقى مستريحًا ملكًا في بلاده وارضه فاما افيسوس فانقلب راجعا الى داريوس وقص على جميع ما جرى له مع اسكندر وكيف اعتقه من الموت واوهبه حياته فلما سمع داريوس هذا هز راسه وشكر افيسوس على فعله فقال افيسوس اعلم يا داريوس ان كلما خولتني من الاكرام والنعم والمجد قد وفيتك اياه اليوم ببذلي ذاتي عنك للموت الا ان اسكندر كافاني بخير اعظم منك لانهُ اعتقني من الموت ووهبني حياتي فها الان انا ماضي اليهِ لاخدمه ثم ودع داريوس وسجد لهُ وذهب الى عسكر اسكندر فاغتم عليهِ داريوس

وحزن حزنًا عظيمًا

الفصل السادس عشر

وفي تلك الليلة رأى اسكندر في نومه ارميا النبي لابسًا حلة الكهنوت كانه في قدس الاقداس وهو يشير اليهِ قائلًا اسرع يا اسكندر واذهب الى مملكة فارس كرسول وجس الارض وانظر عسكر الهند الذين قد وفدوا لمحاربتك فان عرفوك واشتهر امرك فلا تخرج لان يمين الله تعضدك ولا تجزع من شي البتة ولما استيقظ اسكندر قص الرويا على بطولوماوس واندبوخس وفيلونوس روساء القواد المقربين اليه واصحاب مشورته وهمَّ بالذهاب ثم اوصاهم قائلًا ان عرض موتي فاقسموا اما الك الارض فيما بينكم واما مملكة مكدونيا فدبروها حسنًا واما هم فطلبوا منه ببكاء ونوح قايلين لا تذهب اجابهم ان كان الله قد اذن بموتي فالعالم كله لا يقدر ان ينجيني وان هو نجاني لا يقدر احد ان يضع عليَّ يدًا

الفصل السابع عشر

واما اسكندر فانهُ تسربل بحلة مكدونية وجعل على راسه خوذة من ذهب مرصعة بجواهر تتقد على راسهِ كالنار وتسربل

بحلةٍ فوق ثوبه موشاة بالذهب الوهاج مصطنعة كلها من قرون الافاعي من اعلاها الى اسفلها مرصعة بجواهر ويواقيت تبهر الاعين واما ازراره فكانت من لآلي كبار جداً وسار كانه رسول من قبل اسكندر واخذ معهُ رسالة كانها من اسكندر ولما حضر قدام داريوس صنع داريوس مجمعاً كبيراً ليظهر عظمته قدام رسول اسكندر واما اسكندر فدخل الى البلاط الملوكي بكافة الاحتشام والادب وداريوس جالس فناوله الرسالة وكلمهُ قائلاً ان سلطان الملوك العظيم الشان الجليل القدر والعظيم الاقتدار سيدي اسكندر يهديك السلام ياداريوس وقد رسم ان تفهم مضمون هذه الرسالة وتعطي جوابها بالعجل من غير ابطاء اما داريوس فكان جالساً على كرسي رفيع جداً وحوله صفوف من الفرس متوشحون بحللٍ من ذهب نقي ولباسهم يلمع كانهم ملائكة وينظرون اليهِ كانهُ اله واما ارض بلاطه وسقوفها وحيطانها فكانت جميعاً مغشاة بذهب نقي مرصع بالحجارة الكريمة واليواقيت وفي اربع زوايا البيت كان منزلاً اربع جواهر اعظم من المصابيح تتقد وتضيء في الليل كضوء النهار فقبل داريوس رسالة اسكندر وكان ينظر الى الخوذة التي على راسهِ ويتعجب منها وهو متحير في ذاته من ذلك اللباس الذي كان لابساً اياه فقرأ الرسالة واذا هو يقول فيها هكذا من

سلطان الملوك والمقتدرين اسكندر ابن فيلبس حاكم المسكونة بقوة رب الجنود ورحمتهِ وعنايتهِ الذي انا تراب امامه الى داريوس الملك انت تعلم يا داريوس ان من عهد ابي فيلبس كنت تاخذ الخراج من ارض مكدونيا واما ابي فتوجني ملكًا في حياتهِ ثم مات وانت فلم تعطني الاكرام اللايق بالملوك من غباوتك وجهلك بل عزمت ان ترسل احد اصحابك ليحكم مكدونيا ويطردني من بيت ابي ومملكتي فهذا الحكم الجاير لاحظته عين العناية الالهية التي لا تغفل والناظر الى الكل اظهر فيك حكمه العادل فرفعني ووهبني ان اسود الارض بأسرها وقد زعمت انت اني صبي واما انا فوفدت اليك تراني كرجل كامل لكن اعلم انني لست قاسيًا وعديم الانسانية نظيرك فمن الان ارجع الى رشدك وتب الى الله واخضع لي واعطني خراج ارضك وهدايا لخدمتي واسترح في مملكتك آمنًا مطمئنًا وان خالفت فاعلم ان جميع عساكرك لن يعودوا قادرين ان يخلصوك من يدي بل يقبلون الموت من حد سيوف المكدونيين واستعد من الان فاني وافد اليك مع جيشي الى خمسة ايام عند نهر ارسانياس فلما سمع داريوس هذه الرسالة تمرد جدًا وقال لعظمائه لمن هذه العظمة والافتخار وكان اسكندر واقفًا امامه فجاوبه قايلًا لا تعجب يا داريوس اعلم ان المكدونيين

هم اليوم قد ملكوا كل الارض اجاب داريوس ومن اين لهم مثل
هذا اجاب اسكندر لانهم غير منشقين فيما بينهم بل متفقين وطايعين
لملكهم حتى الموت وان عرض لاحدهم امر يبذل الاخر نفسه عنه
واما في الشجاعة والعقل والتمييز فلا يوجد لهم شبيه وهم كثيرون
جدًا لا يقعون تحت احصاء وليس هم جبناء مثل الفرس فواحد من
روسا داريوس اقترب من اسكندر وقال له لماذا تجاوب الملك
بجسارة كهذه اجاب اسكندر ان لي سيدًا عظيمًا وانا اجاوب عن
وجه ملكي فابعد من امامي واما داريوس فامر اسكندر قايلًا استعد
لتتعشى الليلة عندي الى ان نكتب جواب الرسالة الى سيدك
فجلس داريوس على العشا مع حجابه ووزرائه واما اسكندر
فجلس امام داريوس مكان رسول رفيما هم ياكلون احضروا خمرًا
ليشربوا فناولوا اسكندر خمرًا ليشرب في قدح ملوكي من ذهب
نقي فلما شربه اخذ القدح ووضعه في جيبه فاوما الساقي الى داريوس
فقال له اسقه في غيره ولما اعطاه القدح الثاني شربه ثم خباه في
جيبه فالتفت احد روساء داريوس الذي كان جالسًا على المايدة
وقال لاسكندر علانية لماذا صرت لصًا على المايدة الملوكية وسرقت
القدح اجاب اسكندر قائلًا ان ملكي العظيم الشان له مثل هذه
العادة وهي انه عند ما تكون رؤساؤه ووزراؤه على مائدته فكل من

شرب من قدح كان له هبة الى الثالث فلما سمع قواد داريوس ووزراؤهُ عجبوا من ذلك جدًّا وقالوا هي عادة ملوكية وحسنة جدًا

الفصل الثامن عشر

وكان هناك رجل من اصحاب داريوس اسمه قنطركوشي هذا كان قد أُرْسِلَ سابقًا من قبل داريوس لاسكندر لكي يحكم ارض مكدونيا فهذا عرف اسكندر ونهض قائمًا مشيرًا الى داريوس سرًّا قائلاً افرح ايها الملك داريوس اعلم انك اليوم ملك جديد فقال داريوس لماذا وكيف ذلك اجابه اعلم ان الرسول الذي هو جالس على مائدتك هو اسكندر ابن فيلبس بعينه فامتلا داريوس فرحًا واجاب ان كان هذا القول حقيقيًّا فانا اليوم ملك الارض كلها ولكنني لا اصدق ان حاكم المسكونة يخاطر بنفسهِ الى هذه الدرجة ويتنازل الى ان يجعل ذاته رسولاً اجابه قنطركوشي ان لم يثبت كلامي هذا والاَّ فاقطع راسي وفيما هم يتشاورون فيما بينهم فطن اسكندر بانهم عرفوه وكان معه خاتم اخذهُ من مدينة طرواد هذا كان للملكة كلاوبطرا ملكة مصر فكان هذا الخاتم مصنوعًا بحيلة فلكيَّة واذ كان اسكندر يلبسه في اصبعه ويفركه يختفي عن اعين

الناظرين اليهِ فامتلا داريوس فرحًا وقال ياهولآ قد لا يكون هذا
اسكندر بل يشبهه ثم التفت نحوه وقال انت هو اسكندر بعينه
اجابه بغير خوف ولا جبن وقال كلا بل اني اشبهه فهو يحبني
كثيرًا وكثيرون غيرك اذ راوني يسجدون لي لظنهم اني اسكندر
فلما سمع داريوس لم يدرِ ماذا يقول بل ايلا يكون الامر كذبًا
ويسخر بهِ نهض قائمًا وضرب المايدة برجلهِ ودخل ايوانه مع اصحابهِ
ليشاورهم كيف يقبضون عليه ثم اخذوا المصابيح من المايدة الى داخل
امام داريوس وبقي اسكندر مع الروساء في البلاط وللوقت غيَّر
اسكندر شكله ولبس لبس الفرس وفرك الخاتم في اصبعه فصار
خارج السرايا ثم اسرع الى باب المدينة فصادف البواب ساهرًا
فاخرج اول قدحٍ من جيبهِ فدفعهُ لهُ وقال خذ هذه العلامة
الملوكية واعجل بفتح الباب لان الملك ارسلني لاشدد الحراس
فللوقت فتح لهُ ثم وصل الى الباب الثاني ففعل هكذا ولما صار
خارج السور ذهب مسرعًا الى الفرس الاعظم الذي كان مختفيًا في
مكان مستعدًّا لهُ فركبهُ وجرى الى ان وصل الى نهر ارسيا فنظر
النهر مجلدًا فعبر على الجليد الى الناحية الاخرى فوجد انطبوخوس
وبطولوماوس وفيليونوس وسلفكيوس احباه في قلق وغم زايد
فاخبرهم بجميع ما جرى لهُ مع داريوس في البلاط الملوكي واه

Digitized by Google

داريوس فانهُ لما دخل الى القبة وجمع وزراه الاثني عشر قال لهم اعلموا ان هذا الرسول هو اسكندر اجابوه ان كان هذا الكلام حقاً فالهة الفرس قد تحننوا علينا ورحمونا وابطاوا في الحديث ثم خرجوا خارجاً وطلبوا اسكندر ليقبضوا عليهِ فلم يجدوه فاسرعوا الى ابواب المدينة وسالوا الحراس عنهُ فاخبروهم ان انساناً دفع لنا هذه العلامات الملوكية مدعياً بان الملك ارسلهُ ليشدد الحراس ففتحنا لهُ وخرج. فركب قنطركوشى ومعهُ جماعة وجدوا في طلبهِ الى النهر حتى طلعت الشمس فراوه في تلك الناحية من النهر وهو مع العسكر فصاروا في حيرة شديدة وكادوا ان يختنقوا ذواتهم في النهر من كدرهم حينئذٍ كلمهم اسكندر قائلاً يا اهل فارس لماذا تحاولوا ان تضادوا الرياح بل اذهبوا الى ملككم وقولوا لهُ الى ايام قليلة انا وافد اليهِ بعساكري لاقاتلهُ فليستعد لي عند نهر ارسياس فرجع القوم الى داريوس واخبروه بما شاهدوا وسمعوا من اسكندر فلما عاين داريوس مكر اسكندر ومكيدته بكي وقال لوزرائهِ رأيتم مكر ابن فيلبس نظير لصٍ اتى الينا واختبر اراضينا وملكنا لكن فليكن عندكم معلوماً انهُ قد اخذ منا بلادنا وكرسي فارس وملك مواضعنا با لشقاوة حظي ونصيبي لانهُ في الابتداء كان حلواً واما الان فا لعسكر قد وفد اليَّ وتكاثر عليَّ جزعي وسقاني كاساً امر من العلقم

الفصل السابع عشر

ثم ان داريوس كتب رسالة الى حميه ملك الهند القصوى يقول هكذا من داريوس المنكود حظه الى الملك الاعظم بورس المتلالئ اكثر من الشمس الرفيع المقام السامي فخره وعزه الذي تحت ساعده ستة وثلاثون ملكاً ساجدون له اعلم انك انت اليوم اله تشرق في كرسي الهند القصوى وساعدك الشديد مرتفع على كل ملوك الارض انا داريوس ملك فارس اكتب اليك اعلم ان احقر الملوك واصغرهم ابن فيلبس وهو اسكندر اتى كلصّ قوي مقتدر وتغلب على مملكتنا واخذ مواضعنا بغتةً وافسد ثغورنا واهلك شجعان فارس بحد السيف واباد الفرس وخرب ارض المغرب كلها وملك كل الحصون والمدن والقلاع ومع هذا فتح بغداد المدينة الحصينة الشديدة وضمها لمملكة المشرق واما الفرس فانهم خافوا منه وجزعوا جزعاً عظيماً ولم يجسروا على ملاقاته في الحرب وقاتلناه دفعتين وانكسرنا من امام وجهه وهذا الامر لم اكن اومله البتة فالان نتضرع الى ملكك ان تطي شعاعات عزك علينا وتنهض لمعونتنا وترسل لنا عسكراً من قبلك لكي نقاتله دفعةً اخرى اما اقتله وابيده او يقتلني هو لانك انت اليوم ملجانا وعلى عزك قد

القينا اتكالنا لنعتق من ايدي المكدونيين القساة * فلما وصلت هذه
الرسالة الى بورس ملك الهند وقراها هز براسه وقال لا فرح الاّ
ويعقبهُ حزن واما داريوس فقد تعظم بجهله ودعا نفسه الهًا في ما
سلف والان فهو مكدرٌ من المكدونيين ثم دعا واحدًا من وزرائهِ
المتقدمين عنده وقال لهُ قم انطلق وخذ معك اربعة الاف الف
واذهب لمعونة داريوس واما اسكندر احرص ان تاتي بهِ اليّ وهو
حيٌّ لكي انظره لاني على ما اسمع عنه انه عاقل ومجرب في الشجاعة
والمروسية واذ سمع داريوس بانه قد وفدت عساكر الهند لمعونته
فرح جدًّا وجمع عسكر فارس واحصاهم عشر كرات وذهب لقتال
اسكندر مع عساكر الهند وارسل جواسيس ليجسوا عسكر اسكندر
فقبض عليهم اصحاب اسكندر واصعدوهم الى مكان مرتفع ثم امر
اسكندر فتسلّح كل العسكر ووقفوا صفوفًا فنظر جواسيس داريوس
عساكر اسكندر مستعدين للقتال وهم يزأرون كالسباع ثم اعفى عن
الجواسيس ولم يقتلهم بل اوهبهم كسوة واسلحة مكدونية وارسلهم الى
داريوس فقال لهم ما رايتم اجابوه اننا راينا عساكر لا تحصى وشجعانًا
ومقاتلين كثيرين جدًّا وهم وافدون اليكم كالذئاب من غير خوف
وخيلهم تسابق الرياح فى جريها فلما سمعوا جزعوا جدًّا

الفصل الثامن عشر

وكان لما التقى العسكران وعقد الحرب بينهم شديدًا فمن شدة الغبار الصاعد اظلمت الشمس وسقط خوفٌ عظيمٌ على الفريقين ثم عقد الحرب بينهم والتحما شديدًا حتي لم يكونوا يعرفون بعضهم بعضًا وهبّت ريحٌ شديدةٌ عاصفة فقتل بعضهم بعضًا وما كنت تري الا المكدونيين يحصدون الهنود كما تحصد القمح بالمناجل والجماجم طائرة ولم يزالوا هكذا بحرب لم يُرَى قط نظيره لان نهرًا من دم كان جاريًا بين الفريقين حينئذٍ خافوا خوفًا شديدًا وانقلبوا منهزمين

فلما راي اسكندر هزيمتهم لم يدعهم ان يهربوا . ولم يتصبر بل دخل هو في وسطهم مع مائة الف مقاتل منتخبة شجعان ولم يزالوا يقتلونهم الى ان لم يبقَ منهم الّا القليل فلما نظر اهل الهند وتحققوا انه هو الاسكندر ارتاعوا منه وانقلبوا مكسورين واذ راى داريوس ان اصحابه قد انكسروا حار في ما يصنع واضطرب اضطرابًا عظيمًا ووقع عليه رعبةً وولّي هاربًا وفيما هو هاربًا كان ينوح قايلًا ويلي انا العديم العقل لانني تعاليت الى السما وهوذا لست بمستحق ان ادوس على الارض بل هي تطردني وساسقط قتيلًا بيد المكدونيين واما الفرس فمن تبقي منهم هرب الى المدينة واما داريوس فكلن معه

اثنان من وزرايه واحبائه جدًّا اسم الواحد قنطركوشي الذي
عرف اسكندر والاخر ارشيدوشيء فيما هم هاربين ضربوه بالسيف
فسقط الى الارض قتيلاً وعروه واخذوا سلاحه فظن اسكندر ان
داريوس ليس هو مع العسكر فدعا واحدًا من قواده اسمه
فولونيوس وقال له اذهب الى عسكر الهند وفارس واخبرهم ان
داريوس قد فقد واخشى ان يكون مقتولاً فلا احد منكم يهرب
وان هربتم حلّ بكم جميعًا البلآء الاعظم فانطلق فولونيوس واخبرهم
بامر اسكندر واخذ منهم النقارات مائة زوج والطبول والنفير
وجميع الآت الموسيقى وسلموه خيلهم وسلاحهم وطلبوا من اسكندر
العتق والامان فاطلقهم وذهبوا وقبل ان يذهبوا اوصاهم فولونيوس
قايلاً قولوا للملكم بورس يكفاه ان يحكم ارض الهند وحدودها واما
ما عدا ذلك فليدعه لي واعلم يابورس اننا نحن اليوم بمعونة الله
وسيف اسكندر سيدنا روسا فارس وقد صرنا جيرانًا له فاتى عسكر
فارس واقترب من عسكر الهند وانضموا اليه واتوا فسجدوا
لفولونيوش رسول اسكندر وفرحوا جدًّا اذ قد تعبدوا للملك مثل
هذا حليمًا فيلسوفًا .

الفصل التاسع عشر

وكان فيما اسكندر مجتازًا في الوطآء مع عسكره المائة الف واذا

بداريوس مذبوحاً مرمياً على الارض قتيلاً على آخر رمقٍ فصرخ
يا اسكندر الملك انزل بالعجل وهلم اليَّ فالتفت اسكندر اليهِ
وقال من انت يا انسان اجابه انا داريوس المرتفع الى السماء والان
قد هبطت الى عمق الجحيم الذي ملكت المسكونة وهوذا الان قد
سقطت من كرامتي الى الارض انا داريوس الذي سجدت لي الوف
وربوات وها انا مطروح على الارض قتيلاً تحت ارجل الخيل اموت
موتاً شنيعاً فاذكر انت الموت يا اسكندر ولا تتركني ههنا على
التراب معفراً بدمي لانني عالم انك حليم وذو شفقة ولست مثلي
قاسياً فلما سمع اسكندر كلام داريوس حزن جداً عليه وتوجع
كثيراً ونزل عن الفرس ودنا منه وخلع عليه وشاحه الذهبي
وستره بهِ ثم امر المكدونيين فاتوه بعجلة من ذهب ووضعهُ فيها
ودخلوا معاً الى المدينة واما اسكندر فحملهُ على كتفيهِ مقدار رمية سهم
وقال لهُ ها قد صنعت معك الاكرام اللايق بالملوك فان عشت
فكرامتك تتضاعف وان مت فادفنك باكرام جزيل ثم ذهبوا بهِ
الى البلاط ووضعوه في سرير من ذهب واما اسكندر فتسربل
بملابس فاخرة جداً جزيلة الثمن ووضع على راسهِ تاجاً باهراً
وجلس على كرسي من ذهب نقي مرصع بجواهر كريمة لا يمكن وصفها
وهذا كان كرسي داريوس فاتى اهل فارس والمكدونيون وسجدوا

Digitized by Google

لهُ وعظموه قائلين فلتكن ايامك مديدة يا اسكندر ملك المسكونة والمالك الجديد على فارس فامر داريوس حينئذٍ بان يأتوه بابنته روكسندره البارعة الجمال ولم يكن يوجد لها في ارض الفرس نظير فلما راها ابوها داريوس امتلأت عيناه بالدموع ثم قبلها وقال لها يا ابنتي العزيزة ها انا ماضٍ وقد اتيتك بزوج بغتةً من مكدونيا الذي لم اكن انتظره البتة سيد اهل فارس وملك المسكونة كلها لان هذه الحروب الذي جرت وسفك الدما لم تكن الّا لاجل عرسك ونحن يا ابنتي ارتفعنا الى السما وتعظمنا جدًّا الا اننا هبطنا ساقطين ونزع الله منا كرامتنا وسلط علينا المكدونيين فاوصيكِ يا ابنتي المحبوبة ان تحفظي عهدي وعهد اسكندر وتقدمي لهُ الاكرام اللايق بالملوك وتجعليه سيدًا لكِ وتطيعيه فيما يامرك بهِ لانك من الان في يديهِ بمنزله امراة له ثم مسك بيدها وسلمها الى اسكندر وقال لهُ اقبل هذه الجارية امراة لك لانني قد ربيتها بكافة الرفاهية والمجد ولا يوجد لها في الارض مثيل اليوم وهي ملكة ابنة ملوك فاقبلها كجارية خادمة لمجدك وهوذا اتركها هنا وامضي الى القبر حينئذٍ قام اسكندر عن كرسيه ومسك بيد روكسندره واجلسها معه في الكرسي الملوكي ثم رفع عن راسهِ التاج ووضعهُ على راسها فنزعت هي الخاتم من يدها ووضعته في اصبع اسكندر ثم قال اسكندر لداريوس

انظر ياداريوس وافرح بابنتك وليتحول حزنك الى سرور لان ابنتك الشهية قد صارت قرينتي وهي ملكة معي ففرح داريوس جداً ودعا لهما وقال كل ملوك الارض يسجدون تحت اقدامكما وبمعونة الله انتم مزمعين ان تملكوا المسكونة ثم دعا داريوس زوجته ام روكسندره وسلمها الى اسكندر وقال له اقبل يا ابني وصهري حماتك هذه فها قد سلمتها الى يديك ولتكن عندك بمنزلة والدتك اوليمبياده واوصيك يا ابني اسكندر ان تحب الفرس لانهم اصحاب امانة لملكهم واما الذين قتلوني فسامحهم بذنبهم وقبل خذ بثاري منهم ولما اكمل وصيته لاسكندر مات فاغتم عليه اسكندر وكافة العظماء وسائر عسكر المكدونيين وفارس ودفنوه باكرام جزيل في قبور ملوكهم ثم امر باحضار الذين قتلوه وقال لهم لماذا قتلتم ملككم وسيدكم اجابوه بامر التقدير قتل قال لهم ان كان ملككم وسيدكم غدرتم به والذي رباكم الى الآن ولم يحزنكم قط قتلتموه فماذا عساكم أن تفعلوا بي انا الغريب ثم امر باماتتهم تعليقاً ثم قال كل من قتل سيده وخانه وكل من سلم مدينة او قلعة او حصناً فهو ملعون من الله فتزوج اسكندر بروكسندرة لاجل حسنها ولانها كانت ملكة ابنة ملوك وعاقلة جداً وجميلة للغاية وتحب المساكين وتعطيهم الصدقات وتفتقد المحبوسين والمرضى وتهتم بالغربا

Digitized by Google

الفصل العشرون

وبعد ان تزوج اسكندر كتب رسالة لامه اوليمبيادة ولارسطا طاليس معلمه يقول هكذا من اسكندر سيد الملوك وملك العظماء الى امي اوليمبيادة ومعلمي الحكيم الكبير ارسطا طاليس. اعلموا انهُ قد مضى عليَّ سبع سنوات من حين خرجت من عندكم ولم ارسل لكم رسالة ولا وقفتم لي على خبر لكن ليس لنا ذنب بذلك لامور ضرورية حدثت لنا وحروب صعبة شديدة مع داريوس ملك الفرس وثلاث دفعات قاتلنا وانهزم منا مكسورًا بقوة الله فلما راى الفرس ذلك اتوا وسجدوا لي وصاروا لي عبيدًا اما داريوس فتوفّي وقبل وفاته قدم ابنته الجميلة زوجة لي فلما رايت ان حسنها وجمالها يفوق كل نساء فارس اتخذتها لي زوجة وهي مالكة معي في ارض فارس واني معافى بكل فرح وسرور وبحال وصول رسالتنا اليكم ارسلوا الجواب ثم ان اسكندر انعم بحال مكدونية على اهل فارس وامرهم بلبسها ثم فرق في اوان العرس كثيرًا من الذهب والفضة ثم امر ان ينصب عامود من فضة عظيمًا عاليًا جدًّا في وسط المدينة ثم اخرج مناديًا ينادي قائلًا لكم اقول يا اهل فارس فاسمعوا انني اسجد للاله ملك السما والارض رب الجنود خالق الكل الكائن في كل مكان الذي

امامه الوف الوف وربوات ربوات من المليكة يخدمونه برعب ويصرخون قدوس قدوس قدوس بغير انقطاع الغير المنظور الغير المتغير الذي خلق الانسان الواحد وهو ادم وامراته حوا ومن زرعهم امتلات الارض فهذا هو الاله الذي يسحق جميع الالهة الباطلة ويبيد الساجدين لها اما انا فاسجد واسبح وامجد للضابط الكل

الفصل الحادي والعشرون

وبعد هذا امر اسكندر بظبط كنوز داريوس فوجدوا اثني عشر بيرًا من الذهب سبايك وقبوًا مملوًّا فضة ولم يقدر احدًا يحسب غنى داريوس او يحصاه وكان عندهُ خيل منتخبة الف الف فرس وكلاب للصيد عشرة الاف وسباع للصيد خمساية ونمورة الف واربعماية فهذه الذخاير كلها اخذها اسكندر ووهبها لروساء دولته ولبقية عسكره بالسوية ثم امران يخرج العسكر خارج ليحصيه فوجد عنده من الجنود ركاب الخيل اربعين كرة ثم خول فولونيوس وزيره وحكمه ارض فارس وتركه عند الملكة امراة داريوس فاما اسكندر فاقام في بلاد الفرس سنة

Digitized by Google

الفصل الثاني والعشرون

ثم ارتحل اسكندر من بلد فارس وسارطا لبًا نواحي الهند ليقاتل بورس ملك الهند القصوي فقهر كل حكام تلك الاماكن التي مر بها ومقتدريها وتغلب على جميع القبائل في تلك النواحي فصاروا جميعًا عبيدًا لهُ الى اقصى الارض ومن هناك ارتحل نحو عشرة ايام واتى الى مكان فوجد فيه نساء وحشيات وكان طولهنَّ غير اعتيادي وكنَّ مكسيات شعرًا اخشنًا كشعر الخنازير واما اعينهنَّ فكانت تتقد كالمصابيح فاتين ليحاربنَ اسكندر وقتلنَ من عسكره كثيرًا فلما وصل اسكندر اوقد نارًا واحرق منهنَّ كثيرًا بغير عدد ثم ارتحل من هناك واتى الى مكان عجيب جدًّا فوجد هناك نملًا عظيمًا شديدًا في قوته مجنحًا الى ان كاد يحمل الفرس ويذهب بها الى وكره فرسم اسكندر بان ياتوا بحطبٍ كثيرٍ وقصب وحوَّط حول اوكاره واحرق منهُ كثيرًا ثم ارتحل من هناك واتى الى مكان فوجد هناك نهرًا عظيمًا عرضه نحو اربعين ميل فامران تعمل سفنًا صغار للعبور فبعد خمسة وستين يومًا قطعوا النهر الى الناحية الاخرى فلما عبروا الى تلك الارض الواسعة راى اناسًا قصار القامة جدًّا فاتوا وسجدوا لاسكندر وكانت ارضهم تقطر عسلًا شهيًّا وفيها ثمرٌ

حلوٌ لذيذٌ لا يحصى من كثرته ولم يكن في تلك الارض الا العسل والثمر فقط فبني اسكندر هناك مدينة واقام عليهم ملكًا وكانت اراضيهم واسعة جدًّا فامر اسكندر جميع عسكره ان يحملوا في آنيتهم من عسل تلك الارض وثمرها فحملوا شيأً كثيرًا لا يحصى اكفاهم سنة كاملة فبعد هذا انتهى اسكندر الى ارض متسعة شاسعة وكان في ناحية منها بركة ماء عذب جدًّا كالقطر وبارد فنظر هناك عامودًا كان مصورًا عليهِ صورة انسان من ذهب نقي ووجد هناك عظامًا وجماجم لا تحصى وراى على العامود كتابة تقول هكذا من يريد ان يصل الي طرف الارض فلا يجتاز من هنا لان ليس شيءٌ قدامه انا هو الملك صوصوخوس الذي ملكت الارض وارتفعت الى السماء بجهلي فاردت ان اصل الى آخر الارض ولما بلغت الى ههنا خرجت على الناس الوحشيون فاهلكوا عسكري وقتلوني فلما قرأ اسكندر الكتابة امر ان يتوج ذلك التمثال بتاج ثم ستر العامود كله وغطاه حتى لا احد يقرا تلك الكتابة ثم قال لعسكره على ما ارى ان قدامنا موضعًا حسنًا بهجًا جدًّا ثم ارتحل من هناك ومشي يومين فوصل الي جبل عظيم شامخ جدًّا فراى هناك اناسًا منظرهم وحشي هائل بطول غير اعتيادي وشعورهم خشنة وكانوا ينظرون الي العسكر نظرًا شرسًا وحشيًا لا يلوون ولا يهربون البتة

فتقدم اسكندر لينظرهم وجاز فيما بينهم فخاف وعرف انهم هم الناس الوحشيون الذين قتلوا صوصوخوس الملك فامران يتسلح العسكر ويستعد للحرب ثم وضع امامه حراساً وارسل اليهم امراة فلما اقتربت الامراة منهم امسكها احدهم وهمَّ على ان ياكلها فصرخت الامراة . وحينئذٍ اسرع اليها قوم من العسكر وخطفوها من يديهِ وقتلوه بطعن الرماح فصرخ شديدًا واذ سمع صراخه الناس الوحشيون اتوا الى عسكر اسكندر بعدد لا يحصى كالرمل وكانوا يطاردون العسكر منهم بخشب وحجارة فهزموهم الى خيام اسكندر اما انطيوخس فكان مستترًا في غابةٍ في ناحية مع اربعماية الف وبطاوماوس في ناحية اخرى بثلاثماية الف فانطبقا عليهم وتشدد حينئذٍ اسكندر وارسل وزيرًا اخر يقال لهُ سطوطوخرنس من ناحية اخرى واحاط بهم الى ان اهلكوا منهم خلقاً كثيرًا وامسكوا صبياً عمرهُ عشر سنين وكان في قامة الناس القاطنين في نصف الارض وكان لهم عادة كلمن جرح منهم وسال دمه جروا عليهِ واكلوه وفي الغد احصى اسكندر القتلى من عسكره فوجدهم اثني عشر الف حينئذٍ تدمر عليهِ روساؤُهُ وعظماؤُهُ قائلين هوذا نموت في هذه الارض المتوحشة التي لم نقف لها على حدٍّ ولم نعرف لها نهاية وقد ملكنا العالم واستحوذنا على الارض فلم تقنع بذلك ولم يتركنا طمعنا ان نموت في ارضنا

Digitized by Google

بل اتينا لنهلك ههنا في هذه المهاوي والحافات فحزن اسكندر جداً واجابهم قائلاً يا احبآي وعظماي وشجعان مملكتي لست أُشران احزنكم بل اطلب اليكم ان تمدوني بعونكم وقوتكم اياما اخرى قليلة لاننا قد ملكنا المسكونة ووصلنا الى طرف الارض وابدنا الناس الوحشيين وعما قليلٍ نستريح من هذه الحروب ونرجع الى ارضنا وبلادنا ثم ارتحل اسكندر من هناك واتى الى مكان فيهِ مياه عذبة عظيمة جداً ملاو اثماراً عجيبة شهية حسنة من اشكال عديدة متنوعة ووجد هناك عامودين من ذهب نقي على العامود الواحد مصورة صورة الملك ايراكليوس وعلى العامود الثاني صورة امراته الملكة اوميراس فلما وصل اسكندر الى ذينك العامودين ونظر الصورتين بكى وتنهد قائلاً ايها العظيم الشان والشديد الباس الملك ايراكليوس كيف عندما وصلت الى هذا المكان البهج شربت كاس الموت وراى اسكندر هناك احواضاً مملوة ذهباً ولولواً ثميناً ثم امر ان يستريح العسكر هناك ستة ايام ثم ارتحل من هناك ومشى عشرة ايام فوجد اناساً شكلهم غريبٌ عن الناس فاستعدوا ان يحاربوا اسكندر فقتل اسكندر منهم مقتلةً عظيمة وامسك كثيرين احياءً لظنه انهُ ياتي بهم الى ارض مكدونيا فاذ لم يعرف المكدونيون ما هو طعامهم ماتوا كلهم في الطريق ثم ارتحل من

هناك ومشي عشرة ايام الى ان وصل الى شاطي البحر فعسكروا هناك ليستريحوا فمات فرس لاحد الجند فجره الى حافة البحر فخرج من البحر حيوان عظيم بقدر الخروف الكبير واكل من لحم الفرس الميت فخرج غيره وكثروا وكانوا يخطفون الخيل ويا كلونها فبلغ اسكندر ذلك فامران توقد نار في ناحية البحر فلما ارتفع لهيبها احترق اكثرهم واختفوا ثم ارتحل من هناك مع شط البحر واتى الى موضع لطيف جدًّا كان فيه اشجارٌ وغروسٌ انواعٌ عديدة وانهار شتى فامران يستريح العسكر فنظر في المراة الساعية التي اعطاه اياها معلمه ارسطوطاليس الفيلسوف وبها كان ينظر الامور البعيدة كانها حاضرة بين يديه فراى جزيرة في وسط البحر فامر ان تبنى سفن صغار فقال له انطيوخوس يا اسكندر الا تصبر كي اذهب انا قدامك اولًا لئلا يصادفك شي من المضادات وتهلك وفيما بعد تتبعني اجابهُ اسكندر يا حبيبي انطيوخوس ان صادفك شي من المذعرات فمن يعود يسليني عنك اجابهُ ان فقدت انا فتجد كثيرين مثلي تقيمهم روساء ولكن ان مت انت فاي اسكندر اخر اقدر ان اجد عوضك واما انطيوخوس فانهُ ركب في السفن وعبر البحر الى ان وصل الى الجزيرة المذكورة فلما راه اهل تلك الجزيرة اسرعوا وسجدوا له ثم عظموا اسكندر ودعوا

له وسموه ملك المسكونة وقالوا لانطيوخس لماذا اتيت الى ها هنا الا ترانا عراة وعيشنا من اطراف الشجر فماذا عساك ان تاخذ منا فصمت ثم ارسل السفن لاسكندر فركب بها حتى دخل الجزيرة فخرجوا كلهم وسجدوا له ووقفوا امامه عراة فاشفق عليهم وقال لهم لم ناتِ لناخذ منكم شيئاً البتة وانما اتينا لننظركم فاسالكم ان تخبروني كيف عرفتم اسمي ولم تنظروني قط وكيف تحسنون التكلم باللغة اليونانية وانتم في هذا الموضع اجابوه اننا منذ سنين عديدة قد علمنا بامرك وانك مزمع ان تاتي الى ههنا الم ترَ ذينك العامودين الذين من ذهب نقي فهذان قد نصبهما ايراكليوس الملك ونحن كنا معه من عساكره وهو الذي اتى بنا الى هنا ولما اخذنا نزني ونسرق ونقتل ونسكر ونحسد الناس ونحسد بعضنا بعضاً ونمرح في عمل الخطايا المهلكة فسلط الله علينا الناس الوحشيين فخرجوا علينا واهلكوا اكثرنا فلما راى الملكُ ذلك اخذنا واتى بنا الى هذه الحدود الى ان توفى فبقينا عند العامودين بعد موته بغير راس وابتدأنا نعمل الخطايا التي كنا نفعلها من قبل فدهمنا الناس الوحشيون ايضاً واهلكوا اكثرنا ونحن الذين بقينا بالحيوة ركبنا سفناً وقطعنا البحر الى ان اتينا الى هذه الجزيرة واحرقنا السفن ليلا يعاود احدنا الى العالم الخاطي ومن ذلك الوقت رجعنا الى الله وها نحن نعيش على اطراف الشجر

Digitized by Google

وكلنا فلاسفة وعلما وحكما فاختر لك منا من شئت لتدبير ملكك
لانك مزمع أن تعبر اماكن غير معروفة فانذهل اسكندر منهم
وعجب من كلامهم كثيرًا وتنهد قايلاً مغبوط هو ذلك الانسان
الذي يقبل من الله العلم الحقيقي ثم مدح الفلاسفة والعلما قايلاً
ليس شي اجل واكرم من الفلسفة لان الرجل الفيلسوف هو صايب
في جميع آرائهِ واما الجاهل ذاعمى والعلم افضل من الذهب والجواهر
لان العالم يخلص شعبه والجاهل يهلك قبيلته . ثم اختار منهم ستة
فلاسفة علما جدًا وذهب بهم الى عسكرهِ ثم سالهم قايلاً ماذا تقولون
هل امامنا شي من الحروب اجابوه ليس شيءٌ ههنا من الحروب
ولكن في البحر المحيط يوجد جزر عديدة منها جزيرة الطوبانيين وهم
من اولياء الله وعقولهم متحدة بهِ وهم عرايا راسًا فسال اسكندر كيف
سكنوا تلك الجزيرة اجابوه من عصر ادم عليهِ السلام لما كان في
الفردوس وخالف وصية الله واكل من الثمر الذي نهاه عنه
فاخرجه من الفردوس واتى به الى تلك الجزيرة مقابل الفردوس
فسكنها مائة سنة وكان دايمًا يكثر نظره الى الفردوس فينوح
ويبكي متحسرًا ومتذكرًا الموضع الذي خسره والى اي حال صار
وفي تلك الجزيرة بعينها ولد هابيل وقايين فحسد قايين هابيل ولم
يزل مكمنًا له البغض حتى قتله فبكى ادم على هابيل وتجدد حزنه

مع حوا امراته لانه اضاع جمال الفردوس الشهي وايضًا لفقد ولده هابيل وكانت اعين ادم وامراته حوا تسكب الدموع مدة سكناه في تلك الجزيرة

فلما راى الله تعالى حزنه الشديد وعويله وحسراته المتكاثرة رق له ورحمه وارسل له ملاكًا ليسليه قائلًا لماذا تبكي يا ادم اعلم انني خلقتك من التراب وانت مزمع ان تعود الى التراب ولا بد عن ورودك كاس الموت انت ونسلك من بعدك الى يوم القيامة فادفنوا هابيل وانا امنحكم عوضه غلامًا اخر وسموه شيتًا وهذا يكون مختارًا لمرضاتي واما انت يا ادم فاخرج من هذه الجزيرة لانك ما دمت ههنا ناظرًا الى الفردوس فلا تزال متحسرًا لان ليس لك اليه من مرجع فاذهب الى الارض الواسعة واسكن هناك ثم انه ارتحل بنو شيت بعد موته وذهبوا الى الارض الواسعة ولم يوثروا العود الى الجزيرة واما من بقي منهم ههنا فتناسلوا الى هذا اليوم وهولاء الذين يقال لهم الطوبانيين فسال اسكندر الفلاسفة قائلًا عرفوني الطريق لكي نذهب الى جزيرة الطوبانيين فاروه الطريق فارتحل اسكندر بجيشه ومشي ستة ايام فوصل الى متن جبل شامخ فصعدوا اليه ونصب اسكندر عامودًا شاهقا على قمته وصور صورته عليه وسيفٌ في يده اليمنى مشيرًا الى الطوبانيين

Digitized by Google

ومضى من هنالك ثمانية ايام فوصل الى ارض ذات مياهٍ مخيفة موحشة جدًّا وكان يسمع فيها اصوات هائلة وعويل ونحيب وبكا وأنات بلا انقطاع ورأى هنالك سبع بحيرات عظيمة وكان فيها حيات تصفر وانواعًا اخر من المهاوي والمهالك والاهوال فلم يجسر اسكندر ولا اصحابه على الدنو من تلك البحيرات المخيفة ومشى يومين فوصل الى البحر المحيط ورأى عن بعد جزيرة الطوبانيين ثم مضى الى الجزيرة وكانت مزينة بجميع الغروس والاشجار شبه الفردوس وجميع اجناس الطيور كانت معششة في تلك الجزيرة وكل طير كان يصدح بانغامه ومن ذا الذي يقدر ان يصف جمال تلك الجزيرة الرائق وتلك الاشجار التي كانت ماوى يستظل تحتها اهل تلك الجزيرة وكان يخرج من اصول تلك الاشجار مياه غزيرة باردة كالجليد. فلما دخل اسكندر الى تلك الجزيرة استقبله انسان من اولئك الطوبانيين فكلمه اسكندر قائلاً السلام لك يا اخي فاجابه ذلك قائلاً السلام والمحبة لك يا اسكندر الجميل في الملوك واما اسكندر فاحب ان ينشي معهُ حديثًا فلم يشا بل قال لهُ اذهب الى عظيمنا والمتقدم فينا ايقانيين والى الشيوخ الموقرين فهم يخبرونك عن كلما تسالهم واطلب منك الصفح والعفو

فذهب اسكندر الى داخل الجزيرة واذا باناس كثيرين اتوا ليستقبلوه

Digitized by Google

وكلهم قبلوه ودعوا لهُ فعجب اسكندر من ذلك واندهل متحيرًا وكان يظن ان هولاء هم الهة وايسوا بشرًا ثم ذهبوا الى ملكهم ايقانين وكان متكيًا تحت شجرة ما حسنة عجيبة جدًّا فلما قرب اسكندر منهُ وراه قال لهُ ذلك لماذا اقبلت يا اسكندر وأتيت من علكم الباطل الى هنا ثم امسكه بيده وقال لهُ اجلس بالقرب مني فجلس فوضع ايقانين يده على راس اسكندر وقبله وخاطبه بسرور قائلاً افرح يا ملك الارض وهام المسكونة لانك مزمع ان تدوس العالم واذا كمل ذلك جميعه فحينئذٍ عليك ان تجرع كاس الموت الطبيعي فاذ سمع اسكندر عن امر الموت تنهد وبكى قائلاً يا ايقانين الا يوجد طريق للهروب من الموت اجابهُ ان هذا لغير ممكن لان كاس الموت هو سلب حياة الدنيا وابدالها بالحيوة الفضلى الخالدة التي لا يعتريها موت ولا يخامرها هم ولا حزن ولا شقاء مع جماعة خالدين سعادتهم تفوق عقول البشر فسكت اسكندر ولم ينطق البتة بل اطرق الى الارض باهتًا ومتفكرًا في سيرة اولئك وفلسفتهم العالية ثم قال اسكندر لايقانين ان امرت فنحضر شيًا من طعام ارضنا وبلادنا اجابهُ هات لنا لننظر فالتفت اسكندر الى انطيوخس وقال لهُ احضر لنا خبزًا سميذًا وخمرًا عتيقًا جيدًا فاحضر لهُ فقدمهُ اسكندر لايقانين ملك الطوبانيين فلم يقبله ولا ذاق منهُ شيًا بل قال ليس

هو من ماكلنا بل هو مما تاكلونه انتم اما انا فماكلي من اطراف هذه الشجر التي تنظروها واشرب من هذا الماء الجاري وملبوسي من اوراق النبات كما ترى. لان الانسان من الارض والى الارض يعود واما عقولنا فتنظر الى الله تعالى ليلاً ونهارًا ومنهُ نومل الحيوة في ذلك العالم العتيد ومن قبله توقع المعونة كل ساعة . اما عيشتنا فهي نقية وبسيطة واذا ما توفي احدنا تذهب روحه الى مكان الراحة الى ابد الدهر لنمجد الضابط الكل خالق السموات والارض والبحر وكلما فيها والكل بهِ يحيون وكلما شاء صنع لهُ نسبح ونسجد ونمجد شاكرين. اما اسكندر فتأثّر من هذا الكلام وتنهد قائلاً بالحقيقة ان حياتكم وموتكم مملوآن من كل مسرة ثم ان اسكندر سأل ايقانين قائلاً كيف اتيتم الى ههنا اجابهُ اعلم اننا من نسل ادم وحوا ولما طرد جدنا ادم من عدن الى هذه الجزيرة لم يمكنه المقام فيها لفرط الحزن والبكا المتراكم عليهِ لكونه اضاع جمال الفردوس لاجل هابيل الذي قتله قايين فخرج الى الارض الواسعة واما نحن نسل شيت فقمنا هنا وقوم منا ذهبوا ولم يوثروا العودة الى هنا فبقينا نحن وحدنا اما الساكنون في العالم الخاطي فيزنون ويفسقون ويحسدون ويقتلون ويغضبون ويفرحون بسفك الدما ويخصمون ويفعلون انواعًا اخر من الخطايا منعكفين على محبة اللذة الباطلة ويفتخرون

Digitized by Google

في ذلك ويعاندون الله تعالى بهذه القبائح والشراهة والسكر والتانق
فى الماكل والمشارب وجمع الفضة والذهب واذخار الذخائر فلذلك
يفاجئهم الموت بغتة ويخطفهم خطفًا ويذهبون الى عذاب اليم ولا
مناص لهم من العقوبات التي اعدت للعصاة واما نحن فها هي
الجزيرة امامك طف بها كلها فانك لاترى انسانًا واحدًا منعكفًا
وفاعلاً هذه المنكرات التي ذكرناها لك ٠ اجابه اسكندر ان جميع
ما قلته حسنٌ ولكن اخبرني كيف تتكاثرون هنا بغير نسآء اجابه
ايقانيين ان لنا نساء الاّ انهنّ لسن معنا ههنا بل هنّ بعيدات في
جزيرة اخرى وكل سنة نذهب ونمكث معهن شهرًا واحدًا ثم نعود
الى هنا فاذا ولدت امراة منهنّ ولدًا ذكرًا يمكث مع امه ثلاث سنين
ثم ناتي بهِ الى هنا واذا كانت انثى فتدوم مع امها بين النساء قال اسكندر
قد كنت احب ان اذهب الى تلك الجزيرة التي فيها النسا لاعرف
كيف هي اجابه اذهب ولكن الى داخل السور لا يمكنك ان تعبر
لانك ان دخلت فلا يمكنك ان تعيش فيما بعد ثم ان اسكندر نهض
واخذ ايقانيين وذهب طالبًا جزيرة النسآء ودخل اليها فراى سورًا
من نحاس حول الجزيرة فصدق كلام الملك ايقانيين ولم يتجاسر ان
يدخل داخل السور بل دار حول السور من خارج ٠ واما
كيف تصرف اوليك النساء الذين كانوا في تلك الجزيرة وكيف

Digitized by Google

كانت عيشتهم فلم يطلع عليه احد من الناس الا الله تعالى . فامر اسكندر ان ينصب عامود عظيم شاهق وتكتب عليهِ كتابة بالذهب لا تفنى باللغة اليونانية هكذا. انا اسكندر ملكت الارض كلها حتى اتيت الى هذه الجزيرة نفسها ورايتها وطلبت ان اجد هنا الهة اليونانيين فلم ارهم فقلت انهم محبوسون في الجحيم وايضا ايقانين ملك الطوبانيين كشف لي الحق قائلاً ان الهة اليونانيين محبوسون في العذاب مع رئيس الشياطين ومعاقبون معهم في الجحيم بامر الله القادر على كل شي فمن اتى بعدي من الملوك الى هذه الجزيرة فليعلم انهُ لا يقدر ان يدخل داخل السور لان لا احد يعلم ما داخل السور الا الله وحده . ثم عاد اسكندر وسال إيقانين قائلاً ايها العريان المغبوط الجزيل الفطنة والحكمة اخبرني ماعسا ان يكون قدامنا اجابهُ ليس امامك الّا البحر المحيط بكل الارض وجميع مياه المسكونة الجارية تصب فيهِ وتجتمع اليهِ واما هذا الجبل المرتفع جدًا الذي تراه بعيدًا امامك فهناك اشجار وغروس شهية جدًّا وهو الذي تسمونه انتم ارض عدن وشرقي هذا الجبل هو الفردوس الذي نصبه الله نحو المشرق ومن هناك طُرِد ادم وحوا. فقال اسكندر لعلي اقدر ان اذهب فانظره اجابه ان انسانًا لابسًا هذا الجسد الترابي لا يستطيع ان يذهب الى هناك لان هناك جبلاً عظيما هائلاً وحائطًا يلمع

Digitized by Google

كالبرق الساطع حول الفردوس مبنيًا شرافات وهناك كاروبه
بستة اجنحة حاملاً سيفًا ناريًا مجردًا ملتهبًا ليحفظ الموضع. فاذهب
يا اسكندر من حيث اتيت اذ لا تقدر ان تدخل الفردوس لان
منهُ تخرج اربعة انهار عظيمة جدًا وتدفق ماؤها على المسكونة. فقال
اسكندر لولا اني اخاف على عسكر المكدونيين واشفق عليهم ليلا
يهلكوا في هذه الارض بغير راس لكنت تركت مملكتي واقمت
معكم الان حتى اموت لكي اكون قريبًا من الفردوس واعيش عيشة
سماوية الى يوم القيامة * ثم ان اسكندر ودع ايثانين ملك الطوبانيين
فباركه وقال لهُ اذهب يا اسكندر بسلام من عندنا وانت مزمعٌ
ان تملك المسكونة واذا كمل كل هذا ستعود الى الارض التي
اخذت منها. ولما خرج اسكندر من الجزيرة ودعوه وشيعوه بسلا.
فذهب الي العسكر واخبرهم بكل ما جرى لهُ وما عاين من
العجائب ثم ارتحل اسكندر من هناك وسار طالبًا الجهة الجنوبيا
من الارض ومشي عشرة ايام فوصل الى ارضٍ ذات مياه وكان
نهرها عريضًا جدًا فلم يمكنه ان يعبر من هناك * فامر ان تبنى
قنطرة متينة وعبر العسكر على تلك القنطرة الى الجهة الاخرى
ثم كتب على القنطرة باللغة الرومية انا اسكندر ملك المسكونة
اتيت الى طرف الارض ورايت اخرها واتيت الى هنا وبنيت هذ

Digitized by Google

القنطرة وعبرت عليها بجيشي * ثم ارتحل من هناك ومشى اربعة ايام فوصل الى ارض الظلام التي ليس فيها نار ولا ضو فامر ان ياتوه بخيل اناث لهنّ اولاد فعقل اولادهنّ واخذ الامهات معه ومشى في ارض الظلام والخيل امامهم وامر انطيوخس ان ينادي في العسكر قائلاً ينزل كل انسان عن فرسه وياخذ من تراب تلك الارض المظلمة ما امكنه حمله فكل من سمع المناداة واخذ منه فرح به اخيرًا ومن لم ياخذ فانهُ ندم لان تراب تلك الارض كان كله معادن وحجارة جزيلة الثمن جدًّا وفي ليلة قطع ارض الظلام ومن هناك مضى اربعة ايام فاستقبله طيران بلون ابيض وبوجه كوجه الانسان انيسان جدًّا فكلماه قائلين يا اسكندر لماذا تعاند الله وتضاده في هذه البرية بل ارجع واطلب طرف ارض الهند لتحارب بورس لانهُ منتظر مجيك وانت مزمع ان تهدم قوة عساكره وتقتله * فاقصد ناحية الجنوب لانك مزمع ان ترى عجائب كثيرة فارتحل من هناك ومشى ستة ايام واتى الى بركة ماء عظيمة فنزلوا هناك ليستريحوا واخذ الطباخون ان يهيئوا اطعمة لاسكندر وكان معهم سمك مكبوس بملح فاخرجوا منه يسيرًا ووضعوه على حافة تلك البركة في الماء لكي يحلّ عنهُ الملح فلما احس السمك بالماء عاش للوقت وهرب الى داخل البركة قدام اعين الناظرين فلما بلغ

اسكندر ذلك ارتعد وتحير مع جميع عسكره فادخلوا الخيل وسبحوا
هم في تلك البركة فكل من كان فيه ضعف او جرح من الناس
او الخيل برئ ثم ارتحل من هناك ومشي يومين واتى الى بحيرة
اخرى كانت باردة وحلوة جدًّا فنزل اسكندر الى حافة البركة
لكي يغتسل فوثب عليه بغتة حوت عظيم واراد ان يبتلعه فهرب
منهُ وخرج الى البر فقفز الحوت من الماء الى البر ليلحقه و يبتلعه *
فلما راى ان الحوت قفز الى البر وثب على ظهره وركبه وامسكه
فلما شقوا بطنه وجدوا في قلبهِ درة عظيمة بقدر بيضة الاوز وكانت
تلمع كالنجم فوضعها في راس رمحهِ وكانت في الليل تضي على الراية
وفي تلك الليلة خرج من البحيرة نسا حسنات الصور كنَّ يمشينَ
حول عسكر اسكندر ويغنينَ غناءً مطربًا حتى تحير المكدونيون
من ذلك وارتحل من هناك ومشي ستة ايام وانتهى الى موضع فيهِ
احراش كثيرة فخرج عليهم من تلك الاحراش اناس بصورة عجيبة
ولم يكونوا يعرفون من الات الحرب الا القوس والنشاب وكان
في رووس نشابهم عوض نصل البولاد حجر الماس فلما راهم اسكندر
عجب وقال لاصحابهِ لنتحيل على هولا ونمسك منهم قومًا ونرسلهم الى
ارضنا فامر ان تحفر خنادق عميقة ثم تغطي من فوق بقصب واغصان
وقليل من التراب ثم ان المكدونيين هموا كانهم يريدون حربهم اما

Digitized by Google

اوليك فلم يعرفوا مكر اسكندر فجروا لكي يحاربوه فوقع اكثرهم في
الخنادق فهجم عليهم المكدونيون وقتلوا منهم اثني عشر الف وامسكوا
ستة الاف احيآ واخضعوهم لاسكندر وكانوا سريعين في الركض
جدًّا حتى لم يكن شي يقدر ان يفلت من ايديهم فعمل لهم اسكندر
اسلحة ومرنهم في استعمالها وعلمهم طريقة الهجوم في الحرب فعندما
عزم ان يعاود الى موطنهِ هبت ريح باردة جدًّا فلم يطيقوا البرد
فماتوا عن اخرهم ثم ارتحل اسكندر من تلك الارض الوعرة وذهب
مسيرة ماية يوم الى ان انتهى الى مدينة الشمس فمضى الى الهيكل
وسجد هناك فراي كتابة مكتوبة تخبرهُ عن موتهِ ومن هناك ارتحل
ومشى حدود الهند فلما وصل الى هذه النواحي جلس ليستريح في
بقعة ما وكان لهُ ستة اشهر حزينًا لم يضحك منذ اخبره الحكما عن
موتهِ وعند وصوله الى حدود الهند ابتهج مسرورًا

الفصل الثالث والعشرون

فلما سمع بورس ملك الهند ان اسكندر قد وصل الى حدوده
بجيش عظيم ارسل اليهِ رسولًا ومعهُ رسالةً يقول هكذا من بورس
ملك الهند العظيم المرتفع جدًّا الملك المعادل لله الى اسكندر ملك
مكدونية انني سمعت بقتلك داريوس سلطان العجم وانك تعظمت

كثيرًا ومن جهلك اتيت الى هذه الارض لتهلك. واعلم انهُ لم
يتجاسر قط احد من الملوك ان يطا حدودي لان هيبتي وسطوتي
وسلطاني على العالم كله وجميع الامم التي تحت السما مع ملوكهم لن
تقدر ان تقوم امام وجهي وحسبك انك بجهلك وفدت الى هذه
الاصقاع الغريبة عنك فتضرع اليَّ واطلب العفو لكي اسامحك
عن جهلك هذا وارفع يدك عن كل المواضع التي اخذتها وارسل
لنا الخراج واذهب الى مكدونيا لكي تحيا نفسك وان عصيتني فكل
اهل مكدونية لن تعود تقدر ان تنجيك من يدي فقرأ اسكندر
رسالة بورس ثم كتب لهُ جوابًا هكذا من اسكندر سلطان الملوك
لا بقوتي ولا بسلطاني لكن بقوة الاله الضابط الكل الى بورس
الهندي العديم البصيرة واللب انك قد ذكرت في رسالتك اني
قتلت داريوس ملك الفرس وان موته جعلني اتعظم وارتفع فاعلم
ان داريوس كان يتعظم ويدعو ذاته الهًا كما تفعل انت اليوم فها انا
احطمكم بقوة الاله الاعظم. واذكر انك عندما ارسلت الى داريوس
عساكر كثيرة لمعونته هلكوا بحد سيوف المكدونيين ولم تقدر سلطنتك
ان تعينه وانا وافد اليك سريعًا بقوة الاله الاعظم ولست آتي كاله
بل كانسان اما انت فتجاسرت ان تدعو ذاتك الهًا لانك غير عالم
بقوة الاله وسلطانه فهلمَّ الان بكافة قوتك واصطف امامي للقتال

وكلما كثر عسكرك فهكذا تتزايد قوة عساكري ويتقوون عليكم كالاسود . وانا لست اطاردك في ارض بعيدة بل هُهنا في نفس الهند وساقتلك وابيد ذكرك وامسكك بالحياة وابعث بك الى مكدونيا الى الهتك لانهم محبوسون عندنا في طرطوس الجحيم السفلي ليعاقبوا على اغتصابهم . فالى هناك مزمع ان تصير على ما اخبرني ايقانين ملك الطوبانيين وحسبك تحكم بلادك

الفصل الرابع والعشرون

ثم ان اسكندر كتب رسالة وارسلها الى امه الملكة اوليمبياده والى معلمه ارسطوطاليس الحكيم الكبير يعرفهم بجميع الحروب والاتعاب التي قاساها وبكل المواضع الذي جاز بها وعن الملوك الذين باطشهم وقتلهم والجزر التي ذهب اليها وعن جزيرة الطوبانيين وكل العجايب التي شاهدها الى ان انتهى الى ارض الهند ويستعلم عن احوال مملكة مكدونية واما بورس ملك الهند فانه جمع عساكر كثيرة جداً نحو خمسين كرة وكان عنده عشرة الاف سبع كلها مضمرة ومعدة للحرب فلما سمع عسكر المكدونيين والفرس الذين معهم بكثرة عساكر بورس وتلك السباع الضارية ارتاعوا وجزعوا وتشاوروا فيما بينهم ان يسلموا اسكندر الى يد

بورس ملك الهند لكي ينجوا انفسهم ويذهبوا الى مكدونية فسمع بطلوماوس وزير اسكندر بهذا الراي فاتى للوقت واخبره بذلك فجمع اسكندر وجوه عساكره والقواد وكافة الوزرا وخاطبهم قايلاً يا اخوتي واحبايي وشجعان مكدونية وابطالها المكرمين الشهيرين في ركوب الخيل والموشحين بالحلل الذهبية انتم تعلمون ان الله قد سلم كل العالم الى يدنا وقد باطشنا كل سكان الارض وضربنا ملوكها وقتلناهم بحد السيف بساعدكم المنيع ٠ واليوم اراكم جزعتم من هولاء الجنود الجبناء المنحطمين الخايفين النسا في الحرب فان كانت قد خرجت محبتي من قلوبكم ومحبتكم خرجت من قلبي ولا تريدونني ان اكون لكم ملكاً اليوم فاقتلوني الان بايديكم ان كنتم تعلمون ان لكم في هذا خيراً من بورس الهندي ويحسن اليكم ولا يضربكم عند فقدي منكم فانا من ذاتي اذهب واسلم نفسي في يديهِ فداعنكم ولكن اعلموا يا اخوتي ان فقدتم اسكندر فلا تظنوا ان احداً منكم سيعود يرى ارض مكدونية بل تؤسرون وتستعبدون عبودية مرة في هذه الارض الغريبة ٠ وانتم تعلمون بانكم لم تكونوا مستريحين في زماني حتى ولا في زمان ابي نظير زماني الان وانا عالم ان فقدت من وسطكم فكلكم مزمعون ان تهلكوا في هذه الارض وان كان رايكم هكذا فانا وحدي اذهب واقاتل بورس ملك الهند فان اعانني الله وغلبته

Digitized by Google

وقهرته فلي بذلك اسم عظيم باني ملكت الهند وحدي وان قتلني
هو فكلكم تهلكون هنا . فلما سمع المكدونيون قول اسكندر تألمت
قلوبهم وبكوا بكاء شديدًا وتقدموا فخاطبوه قايلين ايها الملك
العجيب اسكندر ذو السعد الاكبر الاوفق لنا ان نموت كلنا معك
وبين يديك من ان نعيش مع غيرك سنين كثيرة . لكن اعلم ان
هذه المكيدة لم تكن منا نحن المكدونيين بل هي من اهل فارس لانهم
جزعوا لما راوا عساكر الهند* وعما قليل كادوا يخوفوننا* واما اهل
الهند فقد عرفونا من قبل الان لما ارسلهم لمعونة داريوس اذ اوقعناهم
في ارض فارس وانت تعلم ايها الملك اسكندر ان اهل فارس
جزوعون كاهل الهند بما انهم جيران لهم* فلما سمع اسكندر هذا
غضب غضبًا شديدًا وامر ان ينزعوا عن اهل فارس لباس الحرب
ويلبسوهم لباس النساء ويضعوا على رؤوسهم مناديل* ثم ان اسكندر
استعد لقتال بورس ملك الهند واصطف العسكر للحرب ولبسوا
كلهم سلاح القتال واحصى اسكندر عسكره فوجد ان عدد
الشجعان المقاتلين ستة الاف الف

ثم كتب رسالة الى فولونيوس وزيره الذي خوله الرياسة في مكانه
قائلاً من سلطان الملوك اسكندر الى وزيري المحبوب مني فولونيوس
بسلفكيه اعلم اننا قد اخذنا الارض بسلام من غير ضرر يلحقنا والان

Digitized by Google

فقد عزمنا ان نقاتل بورس ملك الهند فحال وصول الرسالة اليك اسرع واجمع لنا عسكرًا من ارض المغرب كلها وهلمّ بهم الى الهند حيث نحن مجيشين لاننا في انتظارك فلا تبطئ. وذهب اسكندر الى محاربة بورُس فاتى وعسكر قدام بورُس. فلما راه بورُس اطلق عليهِ عشرة الاف من السباع الكاسرة فاطلق اسكندر على السباع اربعة عشر الف من الجاموس البري والثيران الوحشية فلم تثبت السباع امامها لانها لا تطيق الجاموس البتة ورجعت السباع مجرحة مهشمة مضرجة بالدماء الى عسكر بورُس واما اسكندر فقسم عسكره ثلاثة اقسام وضربت النقارات واشتد صوت النفير والارغن مع الات الموسيقى جميعها. وعلا الصراخ من الجانبين والتقى العسكران للحرب في موضع ما وعقد الحرب بينهما شديدًا جدًا لم يجرِ مثله قط فوقع من عسكر بورس الهندي مايتا الف وقتل من المكدونيين ستة الاف وخمساية. ولم يكفوا عن الحرب من الفجر الى ان غربت الشمس فلما راى بورس ذلك اسرع ودخل خيمته وجمع وجوه قومه لكي يستشيرهم ماذا يعمل فلما اجتمعوا تكلم بورُس قايلاً يا احباءي الاعزا ان المكدونيين قد قتلوا منا مقتلة عظيمة وقد خسرنا خسارة جسيمة فابدوا ما عندكم من الراي اجابه اصحابه قائلين ايها الملك العظيم لا ترسل منذ الان رجالاً

Digitized by Google

يحاربونهم بل ارسل الفيلة. فرتب بورُس ماية الف فيل وجعلوا على ظهر كل فيل نظير برج ووضعوا في كل برج عشرين مقاتل متسلحين واطلقوهم على عسكر المكدونيين واشتبك الحرب ايضاً وصادمهم اسكندر برجاله وامر الخيالة من عسكره ان يعلق كلٌّ منهم على فرسه جرساً كبيرًا لكي تجعل صوتاً مرعباً لان الفيلة لا تطيق استماع صوت الاجراس القوية بل تولي هاربةً ففعل اصحاب اسكندر كما امرهم ثم امر تسعين الف من المشاة ان يرافقوا الخيالة واعطاهم سكاكين عريضة وامرهم ان يدخلوا بين الفيلة ويقطعوا ارجلهم . فلما هجمت الفيلة كلها والتحمت بعسكر اسكندر وسمعت صوت الاجراس انقلبت راجعة وهربت مولية وكانت المشاة تقطع ارجلها وفي هربها رمت من كان على ظهورها فانكسر عسكر الهند وانقلبوا راجعين الى بورُس فجرى حينئذٍ اسكندر وتبعهم من ورائهم واحاط بهم من كل ناحية وقتل منهم مقتلة عظيمة • ولم يزل المكدونيون مشتغلين في ذبحهم الى ان طرحوا منهم اربعماية الف وقتل من عسكر المكدونيين اثنا عشر الف • ثم اسرع اسكندر مع جيشه كله الى نهر النيرن وعبر النهر الى الجهة الاخرى وهذا النهر كان لا يُعبَر الا بواسطة قوارب واما بورُس فكان واقفاً في تلك الناحية واسكندر في هذه الجهة حتى ان كلاًّ من الفريقين كان ينظر الاخر

Digitized by Google

وبعد ستة ايام وصل فولونيوس من بلد فارس ومعه عساكر لا تعد لمساعدة اسكندر واتى له بماية الف من الخيل المنتخبة ومايه الف جمل للحمل واتى له بوشاحٍ ملوكيٍّ ثمين جدًّا وتاج من عند زوجته روكسندرة الملكة ابنة الملك داريوس والف جملٍ اخرى محملة ذهبًا حينئذٍ وقف فولونيوس وقال لاسكندر ياسيدي وعزيزي وسيد المسكونة الجليل المقام والسامي العز والفخر لايليق بك ان تقف بازاء بورُس الهندي وجهًا لوجه فما هو بورُس الهندي بالنسبة الى ارتفاع مجدك. فعليك ان تدهمه بالعجل وتقاتله لانهُ طالما يراك واقفًا فيتقوى هو وقومه وها عسكرنا قويٌّ ومستريح وكثير لا يحصى فنكسره بقوة الاله ففرح اسكندر فرحًا شديدًا لما سمع كلام فولونيوس والمكدونيون لما راى فولونيوس قد وفد ومعه تلك العساكر الكثيرة تشجعوا جدًّا. واما الهنود فوقع عليهم رعب فقال فولونيوس لاسكندر ارسلني لاذهب واقاتل بورُس اولًا لان عسكري مستريح اجابه ان عسكر بورُس كثيرٌ جدًّا ولا يقعون تحت احصاء والنهر الذي بيننا لا تقدر الخيل ان تعبره اجاب فولونيوس ان يمين المكدونيين غير متزعزة وساعدهم شديد وخيلنا لا نهر ولا جبل يستطيع ان يصدّها. وهوذا انا ماضٍ لقتال بورُس بسعدك الرفيع ودعاك يا اسكندر لان لا يليق بك ان تقاتل بورُس وكم من الملوك الذين

سقطوا تحت رجليك وانني الزم بهِ اذ انه جاري وهو يسود الهند
وانا اسود العجم بعزك اجابهُ كما ترى مناسبًا وصائبًا فافعل بافولونيوس
ثم اعطاه من عسكره عشر كرات وفولونيوس كان قد احضر معه
تسعين كرةً وذهب لمقاتلة بورُس الهندي فامر فولونيوس ان كلاً
من الخيالة يحمل واحدًا من المشاة حاملي السيف والترس فقط
ليعبروا النهر ففعلوا كذلك وعبروا المشاة الى تلك الناحية من
النهر اما بورُس فكان جالسًا على المائدة لاجل الطعام واذا بفولونيوس
قد ادركه بجيشه ووقف مقابله والتقى العسكران وعقد الحرب
بين اصحاب فولونيوس وعساكر الهند وكان المكدونيون يجندلون
الهنديين ذبحًا وطعنًا الى ان سقط منهم مقتلة عظيمة وانصبغت
الارض من دماهم فلما راى اسكندر فولونيوس وشجاعته عجب جدًّا
وتحير من ذلك وامر بالحال ان يتسلَّح عسكره ودخل هو ايضًا بين
عسكر الهند من ناحية اخرى وعمل كما عمل فولونيوس
واما عسكر الهند فقاتلوا قتالاً شديدًا الى ان انكسروا واخذوا يولّون
منهزمين وكان اسكندر من خلفهم يبادرهم بطعن الرماح والنشاب
واعملوا فيهم السيف فوقع من عسكر اسكندر ثلاثة عشر الفًا
وقتل من عسكر بورُس ما ينوف عن عشر كرات والبقية هربوا
واستخفوا ولم يبقَ الاَّ القليل. واما بورُس فولَّى هاربًا مولولاً وقائلاً

Digitized by Google

وبلي كيف سقطت شجعاني وعظمآءي ذوو الشان الرفيع وكيف
تساقط مقدموا ارض الهند ومقتدروها كيف لم يجزع المكدونيون
من قوة عساكر الهند الهائلة وكثرتهم بل حطموها واتوا فدخلوا
ارضي ووطئوا بلادي وقد لصقوا بنا كالزنابير البرية ولسعونا
واباد واعسكري حتى ان نهر الفيوس لم يمكنه ان يصدهم واما اسكندر
فانه وصل الى منزل بورس الهندي وداس خيمته وارسل قوماً من
اصحابه لينهبوا ارضي الهند ويسبوا نواحيها ويخربوا تلك الديار
واما بورس فانهُ انهزم الى ان وصل الى مدينة الشمس الحصينة
التي هي تحت الهند القصوى وجلس في كرسيهِ وارسل رسلاً كثيرة
برسائل الى الملوك الذين حوله والقبائل واللغات وكل الشعوب
المحيطين بمملكته والمجاورين لهُ قائلاً اعلموا يا اخوتي ورفاقي والمجاورين
لي انهُ قد دهمنا البلآء والعطب بغتةً ولم نكن منتظرينه البتة وهو
ان اسكندر المكدوني قد تغلب على المسكونة واخذها وقتل داريوس
سلطان العجم العظيم الشان واتى الينا ليحاربنا ويخرجنا من ارضنا
فقاتلناهُ ثلاث دفعات وانكسرنا من امام وجههِ. وافنى كل شجعان
الهند ورجال الحرب بحد السيف حتى ان نهر الفيوس العظيم
الذي لا يعبر قد عبره على الخيل وارسل قومه واصحابه لينهبوا
بلادي ويسبوا اهلها فاطلب اليكم ان تسرعوا لمعونتي وتدركونا

بالعجل لانهُ ان اهلكني انا وقتلني فليس لكم قدرة بعدي ان تحاربوه وتقفوا بازائهِ لانهُ شديد الباس جدًّا . فلما وصلت كتب الملك بورُس الى تلك النواحي اسرعوا اليهِ من كل جانب والملوك الذين كانوا في جهة المغرب حضروا لمعونته ومعهم من العساكر ستة الاف الف وكان عند بورُس اربعماية الف واما عسكر اسكندر فكان عدده عشرة الاف الف . ولما التقى العسكران قبل ان ينتشب الحرب قال اسكندر لفولونيوس وزيره اذهب فجس عسكر بورُس اجابهُ كيف افعل ذلك اجابهُ تذهب برسالة مني فكتب اسكندر لبورس يقول هكذا من سلطان الملوك والعظماء ذي السعد الاعظم اليك يابورُس الهندي والسلام اعلم يابورس ان الراس الخاضع لا يقطع فان رمت ان تحيى ارسل لي هدايا وخراج ارضك وامكث في بلادك ومملكتك لتحكم ارض الهند ولا تترفع كثيرًا بجهلك وتتعظم مفتخرًا لان المتعظم لابدَّ ان يسقط وينحط الى درجة دنية وانت من غرورك وسخطك وجهلك قد صرت قاتل الخلق وشارب دماء الناس والسبب في ذبح كل اهل الهند واحذر فانك ستهلك بميتةٍ شنيعة اذ لا تتوجع لرعيتك وعسكرك ولا يهمك ضيمهم واما انا فبقوة الاله العظيم دائمًا اقهر اعدآي واشفق على رعيتي وعساكري المكدونيين فلنرفع الحرب منذ الان من بين

العسكريين ويكفاهم قتل بعضهم بعضاً الى الان ٠ فليس من العدل انهُ لاجلي انا اسكندر ولاجلك يابورُس نقتل اهل الارض بل هلمَّ وبارزني وحدك في القتال وانا اكون وحدي فايٌّ من غلب صاحبه وقتله فهو الاسعد والملك المظفر وحاكم الارض وان لم تشأ ذلك بل تحب ان تحيي فارسل لي خراج ارضك وهدايا وعسكرًا لخدمتي واسترح في مملكتك فاختر ما احببت من هذين الامرين وارسل لي الجواب

فاخذ بورُس رسالة اسكندر من فولونيوس وامر بقرأتها فلما فهم فحواها اجاب قايلاً انا اقاتل اسكندر بذاتي واما العساكر فتقف في ناحية من غير حرب ٠ ففرح الهنديون بذلك واستبشرت مدينة الشمس فقال بورُس لفولونيوس انت هو فولونيوس وزير اسكندر اجابه انا هو سيد اهل فارس وحاكمهم في يومنا هذا والمحبوب من اسكندر جدًّا وارجو ان احكم الهند بسعد سيدي وملكي قال له بورُس اعلم انكم عما قليل ستكونون بدون ملك لان اسكندر سيذوق اليوم الموت من يدي فانظر لك يافولونيوس تدبيرًا تنجو به واعطني عهدًا بانك تكون من المختصين بي تحكم على الفرس على قسمٍ من مملكة الهند اجاب فولونيوس تحقَّق يابورُس ان العالم كله لن يفصلني عن محبة اسكندر لان الدنيا كلها وملوكها لا تساوي عندي

شعرة واحدة من راسهِ فرجع حينئذٍ فولونيوس الى اسكندر وفيما هو راجعاً كلم بورس قايلاً اركب والحق لان اسكندر في انتظارك راكباً على الفرس الاعظم

الفصل الخامس والعشرون

واما اسكندر فانه ركب على الحصان الاعظم وخرج الى ميدان الحرب الذي عزما ان يتحاربا فيه • ثم سال اسكندر فولونيوس قايلاً كيف شجاعة بورُس وفروسيته اجابه هو ذو جسم عظيم ولكنه ضعيف الهمة قليل القوة فاذهب اليه ايها الملك العزيز فتقتلهُ بقوة اله السماء والارض وهو يساعدك واما اسكندر فانهُ تضرع الى الله قائلاً يا اله السماء والارض الملك المتعالي على الكل أَعِنّي اليوم وهلمَّ لمساعدتي على بورُس الهندي * حينئذٍ تناول الرمح بيده وخرج لملاقاة بورُس * وخرج بورُس من عسكره فلما نظر كلٌّ منهما الاخر اقبلا حالاً يتضاربان بطعن الرماح فتطاعنا ستة عشر دفعة الى ان تكسرت رماحهما * ثم اخذا الدبابيس ولم يزالا يتضاربان حتى كلاَّ من وقع الحديد حينئذٍ استلاَّ سيوفهما ولم يقدر احدهما ان يجد على صاحبه فرصةً الى العصر فقال اسكندر حينئذٍ لبورُس لاعباً بهِ لعل هذه محبة عسكرك لك وامانتهم اليك اذ تركوك ولم

Digitized by Google

ياتوا لمعونتك . فاذ سمع بورُس التفت لينظر الى عسكره وفي التفاته عاجله اسكندر بالسيف بضربة قوية اماله عن السرج واتبعهُ باخرى فاوقعهُ الى الارض واما جواد اسكندر فعض جواد بورُس في عنقه حتى كاد يخنقهُ وسقط الى الارض على راس بورُس فانسلخت جلدة راسه ومات فلما رات عساكر الهند ذلك وقفوا وقاتلوا اسكندر قتالاً شديداً فخرج بجيشه وطاردهم فحاربوه ايضاً الى ان انكسروا من امامه فقتل منهم مقتلة عظيمة نحو ثلثماية الف وامسك منهم كثيرين احياء وعاد فاخذ جسد بورُس الملك واودعه في تابوت من ذهب ووضع عليهِ وشاحاً ثميناً ووضع على راسه تاجاً فاخراً وبعث به الى كرسيه مدينة الشمس حينئذٍ اتت كليجي امراة بورُس مع عشرة الاف من النساء الشريفات واستقبلن جسد بورس الملك واما امراة بورُس فجزّت شعرها الذي كان واصلاً الى الارض ومزقت رداءها الثمين ذا اليواقيت والجواهر بنحيب ونوحٍ عظيم واما اسكندر فدفن بورُس في سرير من ذهب وحلا ملوكية باكرام عظيم وناحت عليه الهند نوحاً عظيماً ايام النوح فاقام اسكندر عند قبر بورُس اثنى عشر يوماً ثم دخل الى مدينا الشمس واتى الى تخت الملك بورُس ورأى اموراً عجيبة جداً لم ير نظيرها قط فنظر البلاط الملوكي وكان طوله نحو ميلٍ واحد واه

حيطان البلاط فكانت مصفحة بذهب نقي وكذلك العواميد مصفحة با الذهب ومرصعة بحجارة ثمينة جدًّا ولآلي كبيرة واما سقف البيت فكان كله من ذهب ابريز وكل البلاط كان من خزفٍ مصور عليه جميع الحروب التي جرت وحركاتها واشكالها والاثنى عشر شهرًا كشكل اشخاص وبشرية كلٌّ كان يدور ويشير الى ايامهِ وساعاتهِ ودقايقهِ وصورة الاثني عشر امراة للاثني عشر شهرًا ومعلق هناك ساعةٌ عظيمة تحير عقل الناظر بصناعة فلسفية تدور على عدد ايام السنة وتري الاشهر والسنين ٠ وراى هناك ماية منارة من ذهب نقي مرصعة بجواهر وحجارة ثمينة وراى لبوس ماية الف من الخيل الملوكية من ارض العرب واسلحة ذهبية وسروج من معادن متنوعة الاشكال معدَّة للحرب وراى عشرة الاف سبعٍ معدَّة لخروج الملك للصيد وعشرين الف نمر بسلاسل من ذهب وفضة ونظر هناك تاج الملك بورُس الذي لم يحوَ اسكندر ولا داريوس على نظيره وراى وشاح الملك بورُس الذي كان يلبسه عند ما كان يجلس على كرسيه وكان مرصعًا بجواهر تتقد كالنار والف صحن من الياقوت والمعادن الجزيلة الثمن واربعماية كاس تشبهها مزينة بلولو وياقوت وزمرد اخضر وماية وخمسين كاسًا اخرى من معادن لا يقدر انسان ان يحسب قيمتها ومكث اسكندر في

Digitized by Google

بلاد الهند سنة كاملة مع جيشه واتت وقتئذٍ كافة الملوك والمقتدرين المحيطين بجدود ارض الهند فسجدوا لاسكندر واتوه بهدايا كثيرة وتحف لا توصف واما اسكندر فولى صديقه انطيوخوس الذي يحبه واقامه سيدًا على الهند

الفصل السادس والعشرون

ثم ارتحل من هناك وسار طالبًا ارض الامان واظنها ارض الصين وكانت هناك نسآء يحكمن على تلك المملكة فلما وصل الى البلاد اخذ في محاربتهنّ ولم يقدر ان ياخذ المدينة فلما عرفت تلك النسآء انهُ اسكندر قد اتى لحربهن ارسلن اليه ماية جارية جميلات جدًّا وحسنات الصور ومعهنّ هدايا ورسالةً تقول هكذا ايها الملك العزيز اسكندر ذا الحلم والعقل الثاقب الموصوف بالشجاعة والرحمة قد سمعنا انك قد تغلبت على جميع المسكونة واخضعتها تحت يدك فقد اخذنا العجب منك اذ قد اتيت لتحارب نساء ضعيفات ولم نصدق ذلك اذ انك قويٌّ وشديد الباس ولا يحسن بك هذا لانهُ ربما نغلبك فيكون ذلك اهانة لك وفضيحة الى الابد ويقال عنك ان النساء قد غلبنك وان انت غلبتنا فليس ذلك بعجب ان تغلب نساء فلذلك نتضرع اليك ان ترحمنا وتوقف عنا

Digitized by Google

الحرب وارسل اننا تمثا للك ايملك علينا كانك انت بذاتك . وقد ارسلنا لك هدايا جزيلة وخراج ارضنا ذهباً ولؤلؤاً وتاج ملكيتنا كلي ترفا، ومائة جارية لاجل خدمتك فنسالك ان ترفع عنا القتال وترحمنا وتؤمننا في ارضنا وان كانت هدايانا قليلة فاحسبها كثيرة . فلما فهم اسكندر رسالة النساء ارسل جوابها هكذا . من اسكندر عظيم الملوك الى كلي ترفا ملكة الارمازونا السلام لكِ لقد قبلت رسالتكِ ومحبتكِ نحونا ليس لاجل الهدايا والتحف بل لاجل خضوعكِ وعبوديتكِ لنا ولكن لم يكن من الواجب عليك ان ترسلي لنا نساء * واعرفي ايضاً اننا باطشنا المسكونة واخذناها فكيف ذكرتِ لنا امكان قهرنا من النساء . فان كانت شجعان الارض والمقاتلين قد سقطوا تحت اقدامنا فكيف نُغلَب من النساء فعلى ما اري انكِ غلطتِ في رسالتكِ ولكن الحلم هو مطفي السخط وهوذا ارسل اليكِ رحمي ليملك فيكنَّ عوضي وارسلي لي بالعجل ثلاثين الف مقاتل لخدمتي لاني ماضٍ الى مملكة فرنسا لاقاتلهم لانهم عصوني ولم يخضعوا لي * ثم ارتحل اسكندر من هناك وسار طالباً مملكة فرنسا وجمع عسكره وكان عنده ثمانية الف الف وارسل امامه جواسيس فكاد يمسكهم الفرنساويون ثم ارسل بطلوماوس وزيره بعشر كرات من المقاتلين واستخبأ في غابةٍ واما

اخر غيتري ملك الفرنساوبين فاراد ان يباطش اسكندر من ناحية اخرى ولم يعلم بان بطلوماوس مستتر في مكان اخر فلم يدرِ الّا وبطولوماوس قد صار من خلفهِ واسكندر من قدام فكسروه وامسكوه حيًّا واتوا بهِ الى اسكندر فامران [illegible] جميع تلك الالسن والقبائل التي كانت في تلك النواحي فانهزموا من اسكندر * وهذه الالسن واللغات والقبائل كانت دنسة جدًّا متوحشة عن طبيعة البشر في الماكل والخصال والعادات

ولما ادركهم اسكندر طردهم من هناك حتى ابعدهم فوصلوا الى المغر في الجبال الشوامخ ووجد منهل ماء بين تلك الجبال وكانت كلها مغرًا واثقابًا فهناك كان مقرهم فقتل منهم اسكندر مقتلةً عظيمة وبنى امامهم حائطًا من نحاس وحبسهم داخله ليلا يخرجوا الى اسكندر ايضًا . والى هنا وصل ثم طلب من الله مصليًا وقائلاً ايها الاله الضابط الكل ملك الملوك ورئيس الروساء يامن بيدك امر الكل وتدبير كل الخليقة ولك تخضع ومنك ترتعد وانا بك املك لانك قد اسلمت المسكونة الي يدي وقد تعبدت لي ملوك الارض بحسب مشيئتك فاليك اتضرع واطلب واستغيث فاسمعني في هذه الساعة وامر هذين الجبلين الغربيّ والشرقي ان يلتقيا وينطبقا . فصارت زلزلة عظيمة والتقى ذانك الجبلان على تلك الشعوب

Digitized by Google

الدنسة وسجد اسكندر للاله الضابط الكل ومجده . ثم امر اسكندر ان يعمل فيما بين الجبلين باب من نحاس عالٍ جدًّا وعظيم ثم رسم ان يزرع حول ذلك المكان عليق وعوسج وشجر شوكه مسم من داخل ومن خارج فصار هناك غابٌ كثيفٌ مرتفع . ثم امر ان يبنى برج عظيم على صخور تفوق قوة البشر وكانت الرجال تصعد على تلك الصخور بواسطة المناجق التي صنعها وكل ذلك كان بصناعة فلسفية كما اشار الحكما الذين كانوا معهُ . ثم عمل في وسط البرج صناعة اخرى عجيبة كلها بالة الموسيقى فكانت اذا هبت الرياح الاربع من اربع جهات الارض تاخذ تلك الآلة الموضوعة في البرج بالتلحين والغناء قائلة ان اسكندر الملك ههنا فاذا سمع الصوت اوليك الناس الدنسون الاردياء يهربون الى داخل ولا يتجاسرون ان يصعدوا الى باب البرج وههنا اغلق اسكندر على تلك القبائل والامم الرجسين وهم اثنتان وعشرون قبيلة فملك مدنًا كثيرة وحصونًا وقلاعًا منيعة في تلك النواحي والاصقاع وانقلب راجعًا

الفصل السابع والعشرون

وفي ذلك الزمان ارسلت الملكة قنطركيا مصورًا حاذقًا الى

Digitized by Google

اسكندر واخذ صورته كما هو واتى بها الى الملكة قنطركيا ملكة
الامسطريدونا فلما نظرت الملكة قنطركيا صورته وجماله الفائق
تعجبت جدًّا ووضعت الصورة عند سريرها واحبَّتهُ من اجل
صورته وكانت مخفية عندها قائلة في ذاتها لعل اسكندر يحضر الينا
رسولاً فنعرفه ونمسكه لانها سمعت عنهُ انه بذاتهِ يذهب رسولاً الى
الممالك ويجس اراضيهم فلهذا امرت ان تصور صورته وكانت تتوقع
ذالك واما اسكندر فانه وصل الى حدود ارض قنطركيا فهذه كانت حماة
بورُس الهندي وكان لها اربعة اولاد ذكور كل واحد في حصته ما
يخصه وهذه اسماؤهم كاراطورس كاطافلوشي دوريةورس ملوقين
واما كاراطورس ابنها فكان صهر الملك بورُس فلما وصل اسكندر
الى ارض الامسطريدونا سمع بذلك كاطافلوشي ملك افريمتيراس
ابن الملكة قنطركيا فترك مملكته واتى مع امراته وابنته وجميع قناياه
ليذهب الى عند امه قنطركيا خوفًا من اسكندر وفيما هو ذاهب التقاه
احد من الملوك اسمه افاكريديس وهذا كان ملك مدينة سلور فوقع
الحرب بينهما وتقاتلا قتالاً شديدًا فهزم افاكريديس ملك سلور
لكاطافلوشي ابن الملكة قنطركيا فلما كسره وهزمه واخذ امراته واولاده
وجميع مقتناه وخاص هو وحده بقليل من العسكر وفيما هو هارب
ليذهب الى امه قنطركيا اتفق انه وقع بين خيام اسكندر فمسكوه

Digitized by Google

وسالوه من انت ومن اين اتيت والى اين تذهب فاعترف لهم
بحقيقة ما جرى له فاتوا به ليحضروه قدام اسكندر فلما سمع اسكندر
بانهم قد مسكوا كاطفلوشي ابن قنطركيا وانهم قد اتوا ليحضروه
بحضرته نزل عن كرسيه واجلس انطيوخوس وزيره عوضه في
الكرسي ووضع التاج الملوكي على راسه

واما اسكندر فوقف في ناحية كانه من بعض العظما لانه اعتزم
هو بذاته ليجس بلد الامسطرودونا واوصى انطيوخوس قائلاً امرني
ان احضر كاطفلوشي امامك كانك انت اسكندر وكاني انا من
بعض عظماك اجابه وبعد ان تحضره اليّ ماذا افعل اجابه وبعده
استقصي عن حاله وسلمني اياه بعد ذلك احفظه كاني وزيرك فقال
انطيوخوس لاسكندر اذهب فاحضره فخرج اسكندر واحضر
كاطفلوشي واوقفه بحضرة انطيوخوس كانهُ اسكندر فساله
انطيوخوس قائلاً من اين حضرت ولماذا هربت ووقعت في
يدي اجابه من خوفك هربت لاذهب الى امي قنطركيا لحفظني
فالتقاني افكريديس ملك ساور القريب من حدودنا وارضنا
وهو هارب منك قتالاً شديداً وهزمني ونهب جميع موجوداتي
واخذ امراتي وابنتي وانا وحدي خلصت واتيت ولم ادرِ الاّ وانا
بين خيامك فنهضوا عليّ اصحابك واحضروني امامك وتم فيّ المثل

اجاب انطيوخوس وكيف ذلك فقال كاطفلوشي زعموا ان انسان كان هارب من اسد فصعد الى شجرة عظيمة ليستريح واذا في راس الشجرة افعى عظيمة فلما راته تحركت وهمت ان تلسعه فتحير ذلك الانسان ماذا يصنع فنظر ايضًا الى يمين الشجرة واذا هناك بركة ماء فخرج منها تمساحًا عظيمًا وكان ناظرًا للانسان ليبتلعه فتحير قائلًا ان سلمت ذاتي للاسد قطعني قطعًا وقاساني عذابًا شديدًا وان طرحت نفسي للافعى فلست اطيق احتمال السم فالاوفق لي ان ادفع ذاتي للتمساح ليبلعني صحيحًا مرةً واحدةً فقفز من الغصن الى فم التمساح فهكذا صار بي انا المحزون ايها الملك اسكندر لاني من خوفك هربت ووقعت في يديك واما انطيوخوس فكان جالس في كرسي اسكندر الملوكي كما سبق القول فاجاب قائلًا الى الرجال الاشرار تتبعهم شرورًا كثيرة واحزان مفرطة لكن انت ليس نعاملك بهذه الصفة يا كطفلوشي لان سعدك قد اتى بك الى عندنا لانك صرت في زمامي وتحت كنفي فلا تحزن ابدًا وانا ارده اليك كل شي ذهب لك وابنتك وامراتك وكل غناك وارسلك الى بلادك ولعند امك قنطركيا واني لك كحبيب صادق واخ موافق فلا يغمك امرنا اصلًا ثم امر انطيوخوس اسكندر مسميًا اياه باسمه قايلًا يا انطيوخوس مقدم عساكري قم خذ معك عسكرًا واخرج

Digitized by Google

كاطفلوشي واسرع الى مدينة سلور الى الملك افكريديس وخاطبه الان فان دفع اليك امراة هذا الرجل وابنته وجميع ما اخذ له بكل طاعة وخضوع كان ذلك حسناً وان لم يفعل ذلك فقاتله واخرب المدينة وانهب اهلها واما هو فائتني بهِ حيًّا لكي نرسل كاطفلوشي مع امراته وابنته وما شئتهُ الى امهِ قنطركيا فلما سمع كاطفلوشي هذا القول خلع خوذته عن راسه وسجد ظانًّا انهُ هو اسكندر ثم مدحه وشكره قائلاً بحكم عدلك اوهبك الله ان تسود الرقاب يا اسكندر تيصر لاجل حلمك وشفقتك ورحمك لاعداك ثم سجد كاطفلوشي لاسكندر وخرج من وجه انطيوخوس فانتخب اسكندر اربعماية الف من المقاتلين الابطال وخرج الى ان انتهى لمدينة سلور ثم قال اسكندر لكاطفلوشي ان انا خلصت لك امراتك بماذا تكافيني من المعروف فقال كاطفلوشي اذا رجعنا ظافرين فاني اتضرع الى سيدك اسكندر ليرسلك معي رسولاً الى عند امي قنطركيا وناخذ من عندنا ذهبا جزيلاً ولتكن اخًا متقدماً فينلوابنًا خاصًّا لامي فلما وصل الى مدينة سلور قسم اسكندر عسكره ثلاثة اقسام وارسل مائة الفا لبلد افكريديس لينهبها ويسبيها ومايتين الف دخلوا في شعب ما ليستخفوا والماية الالف الاخرى بقت معهُ وكتب اسكندر رسالةً الى افكريديس يقول هكذا اعلم يا افكريديس

انه قد بلغ اسكندر ملك الارض جنونك وجهلك وقد ارسل اليك وزيره انطيوخوس ويأمرك ان تخرج بالحال امراة كاطفلوشي وابنته وجميع ما اخذت له ترده اليهِ عاجلاً وان لم تسرع وتبادر لاتمام الامر الملوكي ستموت اشرموتةً

واما ما كان من افكريديس فانهُ كان ارسل جواسيساً ليجسوا عسكر اسكندر فرجعت الجواسيس واخبروه ان عسكرهم قليلاً فخرج افكريديس لحرب اسكندر فلم يدرِ الاَّ وقد دهمتهُ عساكر كثيرة لا تعد ولا تحصى فقاتلوه قتالاً شديداً فانكسر افكريديس هارباً فاحتالوا اصحاب اسكندر ليمسكوه حيّاً فانكب على سيفهِ الى ان خرجت امعاه ومات فدخلوا المدينة وخربوها واستخلصوا امراة كاطفلوشي وابنته وجميع ما كان لهُ وَذهبوا بهِ الى انطيوخوس فقال انطيوخوس وهو جالس في مجلس اسكندر ها قد اخذت كل شيءٍ ذهب لك وامضِ الى املك قطركيا فاجاب كاطفلوشي كل شي ذهب لي قد اوهبته لي عوضه مضاعفاً ايها الملك العزيز اسكندر واني عالم بانك سترسل رسولاً الى امي فاسالك بان ترسل وزيرك انطيوخوس هذا معي رسولاً من قبلك ومهما اردت واحببت فامرك عندنا مطاع لان وزيرك هذا قد رايته عاقلاً ومحتشماً وشجاعاً واميناً لك جداً فاجابه ها نحن نعمل على حسب غرضك فدعا حينئذٍ اسكندر

Digitized by Google

قائلاً اذهب الى الملكة قنطركيا مع ابنها هذا وخاطبها هكذا ان
الملك اسكندر اتى حدود ارضكِ ويريد منكِ هدايا وخراج
مما كتلكِ وان لم ترسلي ذلك فانهُ وافدٌ اليكِ بعساكر لاتحصى
اجاب اسكندر نحو انطيوخوس ان رسمت فاكتب لي مكتوباً
قال كاطفلوشي ليس يليق لرجل مثلك ان يحتاج الى مكتوب ها
انا معك شاهدًا فسجدا كلاهما وخرجا ثم وهب انطيوخوس
لكاطفلوشي ثوباً ثميناً جدًّا مكدونياً وحصاناً جنديّاً حسناً منتخباً
بسلاحهِ واما سرجه فكان من جلدت تمساح مرصعاً بجواهر ثم ان
الرسول اعني اسكندر اخذه كانه الى خيمته واضافه ووهبه بعض
هدايا ثم خرجا كلاهما وركبا طالبين ارض الامسطردونا الى عند
الملك قنداركيا وفيما هما سائران في الطريق كان كاطفلوشي يتعجب
من اسكندر ومن حسن طلعته وجماله وترتيب ثيابهِ ومن احشام
وعذوبة كلامه ولم يعلم انه هو بعينه اسكندر بل قال لهُ لقد رايت
انا مقتدرين كثيرين وملوك الاّ انني لم ار مثلك انسان اخر فان
كان اسكندر عنده رجل اخر مثلك فهو يملك على المسكونة فاجاب
اسكندر وقال صدقاً يا اخي كاطفلوشي عنده كثيرون اكمل واجمل
مني مثل فيلوسيوس وفيلبس وبطلوماوس وسلمنكيوس وفيذا
ندروس واندبفونورس وانا اطفر منهم فاجاب اني نظرت كل

هولآء الآ انت اهلٌ للاكرام والوقار اكثر منهم وكان يليق بك ان
تكون مالك واما اسكندر فانه جربه بالكلام مريدًا لينظر ان كانت
محبته صادقة وحقيقة له فقال كاطفلوشي لاسكندر يفرقني منك
الاَّ الموت يا انطيوخوس وانك محبوب اليَّ ولو امكنني ان ابذل
نفسي عنك فاست اخجل . ثم انهما وصلا الى ارض وعرة متوحشة
وكان بها مغارة متطرفة عظيمة شاسعة مفزعة جدًّا فقال كاطفلوشي
ياحبيبي انطيوخوس ان فلاسفة اليونان يزعمون ان الهة اليونانيين
محبوسين في هذه المغارة ولو كان ممكن الدخول لكنت تدخل
اليها وتنظر ما فيها من المذعرات الغريبة والخيالات المفزعة
وكثيرون اناس دخلوا هذه المغارة واضاعوا عقولهم فاجابه
اسكندر بمثل هذه المحبة تحبني لكي ادخل المغارة واضيع عقلي
فاجابه يا اخي ان كثيرون ايضا رجال ونساء قد دخلوا اليها ولم
يمسهم ضرر البتة فاما انت عقلك اعظم وتمييزك اجلّ واسمى وانا
اعلم انك ولو دخلت لن يصيبك شي بل قصدي ان تتفرج على
العجائب التي فيها لانك طويل العمر وبسعد سيدك لا تجبن عن
شي قال له اسكندر ارني الطريق لادخل فاراه ثم مسكه وبدا ان
يعانقه ويقبله كثيرًا قائلاً ليس هذا الامر ضروريًّا لك ليلا يصادفك
من المضادة لان خوف هذه المغارة وعرًا ومتوحشًا جدًّا وبها

Digitized by Google

سباع واشباح كثيرة وخيالات وان اعتراك شي من المضاددات فانا اموت ههنا ولست اعود ابصر وجه اسكندر فاجاب اسكندر اجلس ههنا لاني هوذا ماضٍ لادخل المغارة وبعد فليس اجزع قال لهُ ادخل ولا يوءذيك شي والهِ اسكندر يكون معك

الفصل الثامن والعشرون

واما اسكندر فانهُ دخل الى تلك المغارة ورأى امورًا غريبة مفزعة واشباح لها اشكالاً مختلفة وصور مريعة جدًّا وصادفته خيالات مدهشة فبدء يشكر الاله الصباووت ويعبر خائفًا حتى دخل الى داخل المغارة وكان كلما دخل داخل تتكاثر عليهِ الخيالات المدهشة اشكالاً وانواعًا شتى فعرف كثيرين منهم اذ كانوا في العالم احياء ثم رأى الملك ايراكلوس كشبه الخيال ثم رأى ابللون ثم ذحل واربيس والمريخ والمشتري وغيرهم من الذين كانوا يالهم اليونانيين وكانوا مغلولين بسلاسل ومكبلين في اقصى المغارة ثم سال واحدًا منهم قائلاً ما الاسم فاجابهُ ذاك وكان فيما سلف ملك الارض قائلاً يا اسكندر هولا الذين تنظرهم كانوا ملوكًا وملكوا الارض مثلك اليوم ولاجل غباوتهم وجهلهم وافتخارهم الباطل تجاسروا ان يدعوا ذواتهم الهة الارضيين واهملوا الاله الحي العظيم فلما ماتوا احضروهم

Digitized by Google

الجن الى ههنا بامر الاله الاعظم ليحبسوا ههنا الى سبعة دهور حتى اذا كملت السبعة دهور يزجوا في الجحيم السفلي ليعاقبوا سرمدًا ثم سال اسكندر قائلاً وهولآء الوجوه المتخايلة ما هم فاجابهُ هولا هم الملوك القتلة القساة قال اسكندر على حسب ظني اني رايتك قبل هذا الان فاجابهُ لعلك مررت في ارض الناس الوحشيين فربما رايت صورتي في العامود المنصوب هناك عندهم قال لهُ اسكندر ما اسمك فاجابه المتخيل انا هو صوصوخوس الملك الذي ملكت الارض كلها وتعظمت كثيرًا وجهلت الاله الحي فقصدت ان اذهب الى طرف الارض فلما وصلت الى ارض الناس الوحشيين خرجوا عليَّ واهلكوا عساكري وقتلوني هناك فاتى اليَّ ملك شرير فربطني واتى بي الى هذه المغارة وحبسني ها هنا وها انا طريحًا في ضيق شديد لعدم عقلي ثم تركه اسكندر وذهب الى اقصى المغارة فاذا بداريوس الملك هو مغلولاً مكبلاً نائحًا فلما رآه داريوس بكى بكاء شديدًا وصرخ يا اسكندر الوافر العقل والحكمة لعلك وانت قد اتيت ههنا وحبست معنا فاجابه اسكندر كلا انما اتيت بارادتي لكي انظركم فقال داريوس ايها الوافر الحكمة لاجل انك واثق بالاله الحي اتيت الى ههنا لتنظر ما لم تراه قط فاسمع ما انا مخبرك ماذا عسى ان يلقاك اعلم ان قنظركيا ملكة الامسطربدرنا عندها صورة

وجهك وهي مزمعة ان تعرفك ولكن لا ترجع البتة لان الاله المتوكل عليهِ هو معك وهو ينقذك من يدها فتشجع اسكندر ودمعت عيناه ثم سال داريوس لاسكندر وهو باكيًا وقال لعل محبتك روكسندرة باقية معك الى الان وهل هي في مملكة الفرس اخبرني فقال لهُ ان روكسندرة هي الان ملكة المسكونة

فقال داريوس يا ابني اسكندر ادخل الى داخل المغارة لتنظر بورس ملك الهند فلما طرق المغارة الى اقصاها فلاح له خيال بورُس فتحققهُ واذ هو مربوطًا مكبلًا فقال له اسكندر ايها الكبير المعظم بورُس سيد الهند قبل هذا الان انك كنت تدعي ذاتك الاله والان فكيف صرت ههنا محبوسًا هكذا ومسجون فقال لهُ بورُس هذا جزا كل الذين يملكون المسكونة ويتعظمون فاحذر يا اسكندر ان تتعظم منذ الان لانك سيؤتى بك ههنا مربوطًا لتحبس معنا تحت حكومة الملك الصباووت واسالك يا ابني اسكندر ان لا تهمل امراتي كلاوسطره واهتم دايمًا من اجل الاموات فاما الاحيا فلا نعني بهم فتحير اسكندر من تلك المناظر المفزعة واندهل واتجه الى الرجوع ليخرج من باب المغارة الى خارج فالتقته تلك الخيالات المريعة والاشباح التي بادرت اليهِ من نواحي المغارة لتخيفه وتكاثرت عليهِ جدًا فاما هو فتشجع عليهم بذكر اله الصباووت وهكذا

لما خرج من بينهم خارجاً وجد كاطفلوشي وهو باكياً منتحباً على فقده لانه ظن انه خفي داخل المغارة فلما راه بادر وانكب على عنقهِ وعانقهُ قائلاً لماذا يا انطيوخوس ابطيت هكذا الان ابطاك قد ازعجني كثيراً الّا انني توسلت الى الله بسعد سيدك اسكندر انه يحفظك لان الملك نجاك من تلك الخيالات . فاخبرني الان ماذا رايت في هذه المغارة المريعة فشرح اسكندر لكاطفلوشي كلما راى شرحاً مبيناً حتى ان كاطفلوشي اعتراه التحير واندهل مرتعداً ولم يزالا هكذا يتخاطبان في امر المغارة الى ان وصلا الى مملكة قنطركيا فلما عرفت الملكة ان ابنها قد وفد فرحت فرحاً عظيماً وقامت من كرسيها وخرجت للقائه الى الخارج فلما رات اسكندر وهو مع ابنها وكانت قد سمعت ان انطيوخوس ضاع في المغارة وكانت حزينة فاستقصت من ابنها عن حال اسكندر وعساكره وكيف فاخبرها كاطفلوشي عن كلما جرى له من الحروب والمعارك والمعاطب وعن هربهُ ووقوعه في يدي اسكندر ثم قال لها ان انطيوخوس هذا هو الذي خلصني من يدي اعداي واستخلص لي جميع مقتنياتي وامراتي وابنتي ووهبني اياهم وهو وزير اسكندر الاعظم فاقبليه يا امي كولد لك فلما سمعت قنطركيا هذا الكلام قامت والتفتت وتفرست في شكل اسكندر بدقة ثم بادرت اليه وامسكته وضمته اليها وبدات تقبلهُ ثم سلمت عليهِ قايلةً مرحباً بك ايها

Digitized by Google

الجليل القدر والسامي الفخر ملكاً كنت ام وزيراً فانت ولدي الحلو وكانت تتامل في صورتهِ وحسن جمالهِ حتى اندهشت من ذلك ثم قالت له منذ الان انت ولدي لانك عاملت ابني بالخير والجميل واحسنت الينا هذا الاحسان كله واما اسكندر فبدا يخاطبها كرسول مرسل من اسكندر فعجبت من كلامه وعرفتهُ من اشارات وجهه التي راتها في الصورة التي كانت عندها مخبأة انهُ هو اسكندر بعينهِ ثم اتت فعانقتهُ طويلاً ايضاً وكانت تخاطبهُ بكل حب ووداعة قايلة اهلاً بك ايها المعظم في الارض الا انك لست تذهب الان من عندنا بل هنا تمالك مع اولادي ولست اتركك ان تعود الى اسكندر فهلمّ معي لكي ادخلك الى بلاطي الى سريري الموكي وتنظر جميع ما عندي واهبك مهما اردت واحببت ثم اكتب رسالةً الى اسكندر وارسل انساناً عوضك ثم امسكتهُ ودخلت به الى البلاط الملوكي وكان كله مفروشاً مزفوفاً ومصفحاً الى اسفل بذهب نقي مرصعاً بحجارة ثمينة ولولو يدهش الناظر . ثم دخلت بهِ الى اقصى البلاط حتى انت بهِ الى سريرها وبدات تخاطبهُ قايلةً ياحبيبي اسكندر خذ مهما شئت من كلما يرضيك واشتهتهُ عيناك واما هو فاخفى ذاته قايلاً انا هو انطيوخوس عبد اسكندر فاجابت قنطركيا انا قد علمت وتحققت انك انت هو اسكندر ملك الارض

بعينه ولا يليق بك ايها السامي الفخر ان تدعو ذاتك انطيوخوس
وان لم تصدقني فانظر الى هذه الصورة فانها تشابهك فلما حقق نظره
في الصورة وراى كل اشارات وجهه قال بالحقيقة انه مصورٌ
حاذقٌ واسكندر يحبني جدًّا لانني اشابهه وكثيرون اذ راوني ظنوا
اني اسكندر واما قنطركيا فاجابته قايلة بالحقيقة انت هو اسكندر
وانا اليوم سعيدة بين الملكات اذ قد حصل في منزلي على سيدي
اسكندر واعلم انك قد دخلت الينا لكن لا يمكنك ان تخرج من
عندنا منذ الان بل ههنا تقيم فلما سمع اسكندر قولها غضب غضبًا
شديدًا وظهر الغيظ في وجهه وكان يصر باسنانه ثم نظر اليها نظرًا
وحشيًّا شرسًا وهم ان يقتلها في تلك الساعة وهي على السرير
فعاينت الملكة قنطركيا ان منظر وجههُ قد تغير وعلامات القتل
قد ظهرت بين حاجبيه ارتعدت خوفًا ومشيت الى نحو الباب
لتخرج وتنفر من يده اما هو فقبض عليها وضبطها بيده قايلاً لا خروج
لكِ من هذا الباب بل ههنا اقتلك قتلاً شنيعًا مستغربًا وان لم
اميتك فلا اخرج من هنا بل اقتل اولادك واذا مت فاموت
موتًا كريمًا فلما سمعت قنطركيا جوابه وتحققت انه هو اسكندر بعينه
انطرحت عليهِ بغتةً وعانقتهُ شديدًا

ثم قالت ايها الملك المعظم في السلاطين والسامي الفخر في ملوك

الارض اسكندر القاهر لماذا شملك الغضب منا وانذعرت هكذا تمهل ولا تقلق مني البتة ولا تحزن اصلاً من امريضاد ؟ جلالة ملكك فحاشاه ياولدي اني لست من النساء الجاهلات حتي اشهر امرك لاحد من الناس حتي ولا لاولادي بل سوف ان ارسلك بكرامة وعطايا جزيلة الى عساكرك لتذهب بسلام فمنذ الان اطمان يا ابني لانهُ من يقدر ان يخوض هذه اللجة ان يدفع حاكم الارض الى الموت او يخامر عليهِ لان العالم كله مستبشر بك وانت اليوم للناس رجاء وسند * واعلم يا اسكند انني قد احببتك كثيرًا ونفسي قد تعلقت بك واريد ان اصيرك ابنًا لي لكي ادعى والدة ملك الارض فمنذ الان كن مطمئنًا فلست اشهر ولا اكشف امرك البتة ولو عرض لي الموت نفسه * لان العالم كلهُ لايساوي شعرةً من راسك ومن يتجاسر ان يقتل ملك الارض بل قصدي ان تتخذني عوض والدتك اوليمبياده فاوصيك ياولدي بان لا تعود من الان تذهب رسولاً الى الممالك لانهُ خطر عظيم عليك ولا يليق بك ان تفعل ذلك ولا ينبغي لسيد المسكونة ان تتعلق حياته بخيط العنكبوت لان ما هو الامر الضروري الداعي الى هذا فلا بقيت من الان تركب مثل هذه الامور الخطرة وها انا ناصحة لك لانك عما قليل لكنت عندنا مائتاً * فلما سمع اسكندر كلام قنطركيا تحقق انها احبتهُ

جدًّا وانها ناصحة لهُ تعجب وخلع خوذته عن راسهِ وانحني ساجدًا
لها قائلاً من هذه الساعة انتِ والدتي اوليمبياده • ثم انه قبل يديها
وعانقها وخرجا كلاهما الى خارج وفي تلك الساعة حضر ابنها
دوريفوروس من عسكر اسكندر مغلوبًا فلما سمع ان انطيوخوس
رسول اسكندر عند امه قنطركيا اتى مسرعًا وجرد سيفه ليقتله *
فلما عرفت والدته ذلك بادرت اليهِ وقالت لايليق بك ان تفعل
مثل هذا الفعل الشنيع • اعلم ان اسكندر اعتق اخاك من العبودية
واسلم عسكره للحرب ليدافعوا عنه وقتل عدوه افكريديس ملك
سلور وخلص لهُ امراته وابنته ووهب لهُ اضعاف ما كان معهُ
وارسلهُ اليَّ كاسبًا مجبور الخاطر وارسل معه انطيوخوس المحبوب
منه الينا فعوض الهدايا والكرامات التي يجب ان نعامله بها تريد
ان تقتل رسوله الان • واعلم ان الافضل بنا ان نموت كلنا من ان
تسقط شعرة واحدة من رسول اسكندر في منزلنا فلم يصغ
دوريفوروس الى قول امه بل اجابها دعيني اقتله لان اسكندر اهلك
جميع عساكري وقتل بورس ملك الهند وانتِ لا تتركيني اقتل
احد اصحابه فلما سمعت امراة كاطفلوشي قول دوريفوروس اسرعت
الى زوجها كاطفلوشي الذي كان حضر مع اسكندر واخبرته قائلة
ان اخاك دوريفوروس مجرد سيفه ليقتل انطيوخوس رسول

سكندر حبيبك فلما سمع كاطفلوشي خرج بالعجل حتى اتى الى
ابلاط الى امه فوجد اخاهُ مجردًا سيفه وامه حاضنته ولم تقدر ان
تضبطه وهما يتصارعان فوقع السيف من يده فتناوله كاطفلوشي واتى
يقتل دوربفوروس

ثم شتمهُ بالفاظ ردية وقال يامن هو اهلٌ لكل احتقار ياعديم
الشجاعة ان كنت صادقًا في قولك هذا وتريد قتلهُ فادخل انت
واياهُ وحدكما لننظر وتختبر شجاعتك مع هذا الرجل . بل اعلم ان
مائة مقاتل مثلي ومثلك لن يستطيعوا ان يقفوا مقابل هذا الرجل
لكونه مجربًا في القتال لانهُ معدود عند المكدونيين بخمسماية مثلك
ياغليظ الرقبة واشر الناس وان ظننت في نفسك انك ذو باس
فاذهب اليه وقاتلهُ واقتله في عسكر المكدونيين واما هاهنا فان
دام مكروه لن نعود تقدر تهرب من يد اسكندر اما سمعت كيف
قتل حماك بورُس الملك بضربة واحدة كما تذبح الشاة

واما قنطركيا فدخلت واعلمت اسكندر واخبرتهُ فلما خرج راى
دوربفوروس واخاه كاطفلوشي يتنازعان فلما راى دوربفوروس اسكندر
اظهر سمات القتل وغضب وهم ان يهجم عليهِ ليقتله واما اسكندر
فلم يجبن بل استل سيفه ووقف مقابله قائلاً له اراك قد سخطت
وتريد ان تقتلني فهلمَّ الان اقتلني ان كنت شجاع بين الاسطربدونا

ولو عرف سيدي انكم تقتلون رسل الملوك لما كان ارسلني اليكم بل
كان حضر بذاتهِ مع جيشه فتبسمت قنطركيا وقالت ان الرجل
العاقل يخلص نفسه ويخلص اخرين معهُ من الموت . فلما سمع
دوريفوروس هذا الكلام خاف وارتعد فاتت قنطركيا واسكتت
اسكندر وامسك كاطفلوشي اخاه دوريفوروس وانفكا عن بعضهما
واصلحوا بينهما حينئذٍ صنعوا وليمة عظيمة واكرموا اسكندر بهدايا
جزيلة . واما الملكة قنطركيا فانها اوهبت اسكندر تاجها العظيم
الذي لم يوجد مثله في ارض الهند . فدفعته اليهِ سرًّا قائلة خذ
هذا معك الى روكسندره . ثم اعطته خاتمها الذي كان باربع وجوه
وكانت فيه صناعة باهرة وعلى فلسي ينظر فيهِ البعيد كالقريب
باربع جواهر وحجر مغنطيس واعطته اسلحة من بولاد لا يؤثر بها
نار ولا سيف وكان بينها اسلحة من جلود افاعي الهند العظيمة المرهبة
واعطته فرسًا اشهب مسروجا ملجومًا لا تلحقهُ الخيل وكان سرجه
قطعة واحدة من الياقوت وصنعة هذه الحجارة كالياقوت والزمرد
والجواهر وغير ذلك كانت صناعية كما كان عند فلاسفة اليونانيين
القدماء واما الان فقد فقدت . ثم اعطتهُ خوذة كانت مصنوعة
كشبه نسر حاملاً في رجليهِ كتابةً تقول هكذا القيصر اسكندر ذو
الاقتدارات العظيمة والسعد الاكبر ضابط جهات الارض وسيد

Digitized by Google

المسكونة. وبعد هذا ودعوه ببكاء ونحيب واما الملكة قنطركيا كانت تعانقه وتقبلهُ واما هو فكان يطب قلبها ويشجعها قائلاً لا تبكي يا امي فطالما انا حي لا يصيبك مكروه ولا احد من الملوك يقدر ان يجرد عليكِ سيفاً . ثم انها اعطتهُ خراج ارضها لاجل عشر سنوات فلم يردان ياخذ منها بل قال انا اذهب الى اسكندر واتضرع اليهِ ليسامحك بالخراج اجابتهُ قنطركيا سراً ان لم تاخذ منا الخراج يظهر امرك فاقبلهُ منا علامة محبة دائمة لي ولاولادي فقبل الخراج وخرج من عندهم ومعهُ كاطفلوشي واخوه دوريفوس واخوه الاخر مالوقين الى ان وصل الى عساكره فلما اقبل اسكندر على جيشه ترجل جميع العسكر عن خيولهم وسجدوا لهُ للارض حينئذٍ التفت اسكندر وقال لكاطفلوشي واخوته اعلموا اني انا اسكندر بعينه فلما سمعوا ذلك اجابوهُ ان كنت اسكندر فنحن هالكون الان واما اسكندر فانهُ امسكهم وضمهم اليهِ قائلاً لا يصيبكم مني بغيٌ ولا خوف لاجل محبة والدتكم . وانتم منذ الان اخوتي واحباءي الاعزا ثم انهُ اكرمهم باكرامات جزيلة وعطايا ملوكية وصرفهم الى بلادهم بسلام حينئذٍ كلمه عظماؤهُ وروساؤهُ وهم انطيوخوس وبطلوماوس وفيلولوس قائلين لا يليق بك ان تفعل هذا بنفسك لان حياتك يتعلق عليها سلامة المسكونة وموتك يقلق الارض ويزعج ساكنيها

Digitized by Google

فلم تسلم نفسك بعذاب مثل هذا وتصير جاسوساً ورسولاً فان هلكت تهلكنا كلنا معك في هذه البلاد الغريبة وها نحن قد سدنا الارض كلها ولم يبق موضع الا ملكناه ولا مملكة الا باطشناها فنتضرع اليك بان ترجع الى مملكة فارس . حينئذٍ صنع لعساكره وليمة عظيمة ووهب عظماه عطايا جزيلة . ومن هناك ارتحل راجعاً بعساكره الى مملكة فارس حيث الملكة روكسندرة امراته فخرجوا لاستقباله وفرحوا فرحاً عظيماً يكل اللسان عن وصفهِ واما اسكندر فانعم على انطيوخوس بان يتسلط على مملكة الهند بذاتهِ واعطى فيلوتوس ان يحكم على مملكة فارس ووهب انديفونوس البروس مملكة الفرنسا وكل النواحي الشمالية ووهب بطلوماوس مملكة مصر العظيمة و بيت المقدس مع كل البلاد ليحكم عليها بذاته واعطى سلفكيوس رياسة ارض فلسطين ومدينة انطاكية العظيمة وجميع ارض برياس وقرمان وجزيرة قبرص واعطى نطرطوغونس رياسة مدينة رومية العظمى بذاتهِ ووهب اولاد ماضوشي رياسة جزيرة الانكليز فقسم الممالك بغاية الحكمة والفلسفة وحدد لكل ملك حده . ثم مكث في ارض فارس سنة كاملة ومن هنالك انقلب راجعاً الى مدينة بغداد فراى تلك الليلة في الحلم ارميا النبي يقول له هلمَّ يا اسكندر الى المكان المعد لك لانهُ

Digitized by Google

قد مضى من حياتك اربع واربعون سنة فها قد حان لك ان
تذوق كاس الموت الطبيعي وتعود الى الارض التي منها اخذت
لانك تراب وسترجع الى التراب اذ قد طرقت الارض كلها
ومشيتها ولم تكسب منها شيًا وها انت مزمع ان تجرع كاس الموت
من يد ساقيك وتموت اما جسمك المتنعم فيبلى في الارض وبقاياه
تدوم الى يوم القيامة وحينئذٍ تجتمع نفسك بجسمك لتسكن في
ذلك العالم وتجازى عما صنعت فصدق كلامي ولا تشك فيه لان
الاله الاعظم الذي امنت بهِ قديم الايام سيحضر ليدين الاحياء
والاموات وستدان الملوك والعظما والمسلطون والروسا والمتقدمون
والاغنيا والشرفا والفقرا كل هولآء يقفون في رتبة واحدة . فانت
يا اسكندر مزمع ان تجد راحة يسيرة لاجل علمك وعقلك الكامل
ورحمتك لاعدايك وبالاكثر لاجل سجودك للاله الحي رب
الجنود ومعرفتك اياه . فلما انتبه اسكندر من نومه جلس متحيرًا
واشتد عليه ذلك وكاد عما قليل يفقد عقله من عظم ما راى فجعل
ينوح بزفرات ويبكي بكاء شديدًا وهو مفتكر بالموت وكان مثل
سفينة قد تعالت عليها الامواج ولاطمتها الرياح فهذا الحال
حدث له من خوفه من الموت ولم يكن يعلم ماذا يعمل حينئذٍ ارتحل
مع المختصين بهِ الى ان اتى الى مدينة بغداد واخذ معه روكسندرة

Digitized by Google

امرأته وهو نائح جدًّا وكان كرجلٍ قد اضاع كنوزًا عظيمة لا يلذ له طعام ولا شراب وكان يفطن بالموت كل ساعة . ثم ارتحل من بغداد الى ان وصل الى ارض شاسعة يقال لها حوران وهي ارض ايوب الصديق وهناك نصب خيمته واستراح العسكر الذي كان معهُ في ذلك السهل الواسع وكان عسكرًا لا يحصى واما العظماء والوزرا فكانوا يرون اسكندر حزينًا ومغمومًا في ذاتهِ وكانوا يطلبون سبيلاً ليسالوه ويعزوه فلم يمكنهم ذلك فاشاروا على العسكر ان يجتمعوا كلهم الى القضاء ويتدرعون بسلاحهم ثم اخذوا اسكندر وذهبوا به الى موضع عال مشرف جدًّا واقاموه هناك لينظر الى كثرة جيشه فلما صعد وراهم كلمهُ وزراءوه قايلين يا اسكندر السامي المقام بين ملوك الارض لماذا انت حزين ولم يتمكن الغم في قلبك الا تنظر الى كثرة الجيوش والعساكر الذين اقامك الله عليهم ملكًا وسيدًا . بل اعلم ان كل هولاء مغتمون لغمك وان كنت مسرورًا فينسرون بمشاهدتهم سرورك فازل عنك الحزن الان . حينئذٍ هز اسكندر راسه وكلمهم قايلاً هل ترون كل هذه الجماهير الغفيرة من العسكر فلا يمضي خمسة عشر سنة ويبقى منهم احد حيًّا بل يموتون وتطويهم الارض وكان عدد تلك الجيوش اكثر من مئتي ربوة من المقاتلين من اهل الهند وفارس والسريان واليهود والديلم

وخرسان والصين والصابيين والكلدانيين ومن الجزاير ومصر والافرنج ومن ارض العرب والحبشة والمغاربة وكل جنس ولغة من المشرق والمغرب والشمال والبحر هولا كلهم كانوا مجتمعين في سهل حوران فوهبهم عطايا جزيلة ودعا لهم وباركهم ونادى المنادون بما قال اسكندر ثم اتى جميع المقتدرين من كل ناحية واجتمعوا اليه في ذلك السهل ومعهم هدايا عظيمة واموال جزيلة لاتحصى وفي ذلك اليوم بعينه حضر ارسطوطاليس الفيلسوف الاعظم معلم اسكندر من مكدونية من عند امه الملكة اوليمبيادة . فلما راهُ اسكندر فرح جدًّا بقدومه ونهض قائمًا لاستقباله وعانقه طويلاً . وخاطبهُ قايلاً مرحبًا بك يا ايها الشهم الجليل ها لما رايت صورتك زال شي من حزن قلبي ايها الحكيم المشرق شعاع نورك كالشمس معلمي الذي عقله يفوق عقول اهل الارض يامن تعجبت من مصنفاتك حكما مصر واندهلت من مولفاتك فلاسفة المسكونة قل لي الان ايها المحبوب كيف هم اهل المشرق وماذا عسى ان يكون قد جرى بعدنا لمملكه مكدونية وطننا وارضنا . وكيف هي والدتي ونور عيني الملكة اولمبيادة . وماذا سمعتم عني . وهل تصدقون انني قد ملكت الارض وجميع الاقطار

وقد طاعة لي روساء المسكونة حتى ذهبت الى طرف الارض

ووصلت الى ارض عدن وحدود الفردوس ودخلت الى جزيرة الطوبانيين المباركين الذين ذكرت لي عنهم في كتبك فرايتهم بعيني ونظرت ملكهم ايقاذن وهو اخبرني قائلاً ان الهة اليونانيين مع العابدين لهم لايذهبون الى الفردوس بل الى الجحيم وقد أُسلموا الى العذاب ليعاقبوا الى الدهر

فلما سمع ارسطوطاليس الحكيم هذا القول اعتراه ذهول وظهر لهُ منه عجب غريب مريع جداً واطرق مقدار ساعة ثم رفع راسهِ والتفت الى اسكندر وقال اشكر الاله العلي اذ سمعت صوتك الحلو ولفظك العذب الشهي ورايت جمال صورتك وبهاء طلعتك المنزهرة ايها الملك المشدد والمظفر من السماء اسكندر سيد المسكونة

اعلم يا ابني ان العالم باسرهِ اليوم مسرور بك ومزهر بشرف ملكك والسلامة شاملة كل المسكونة لسماعهم عن صحتك وسلامتك لان الله تعالى قد منحك ما لم يمنحه احداً من الناس من المجد والشرف وكلهم يتضرعون الى الله تعالى لدوام ملكك لانهم لايؤملون بعد موتك ان يحظوا بملك اخر حكيم مثلك . واما الملكة سيدتي والدتك فتهديك السلام والدعاء وهي مسرورة بصحتك ويخالط فرحها حزن لعدم مشاهدتها طلعتك الزاهرة طول هذه السنين قائلة هل يمكنني

انظر والدي وحيدي قبل الموت وابصر معه قرينته روكسندرة الملكة كنتي فلما سمع اسكندر هذا القول من معلمه عجب ودمعت عيناه ثم نهض وامسك بيد الفيلسوف ودخلا كلاهما وجلسا على المائدة للغذاء ثم نادى كل الروساء والعظماء والمتقدمين وجميع كبار دولته وكل روسائه الذين حضروا من كل المسكونة الى مروج حوران فاجتمعوا للوليمة كلهم واما اصدقاوة والمختصون بهِ مثل انطيوخوس وانديغونس وسلفكيوس وفيلبس وبطلوماوس فجلسوا معه على مايدته بالقرب من ارسطوطاليس وابطروشي وبتولبكراطلوش الذين كانوا محبوبين عنده فاجلسهم على راس الموايد الاخر التي كانت بالقرب من مائدتهِ فلما انتصف الغذاء وشربوا قدحاً ثالثاً نهض الفيلسوف واحضر الهدايا التي اتى بها من مكدونية من عند ام اسكندر الملكة اوليمبياده وهي تاجان عظيمان جداً وعجيبان واحد لاسكندر والاخر لروكسندرة وفرسان اشهبان بسرجهما ولجاميهما مزينان بذهب نقي وحجارة ثمينة واسنان السباع وقرون الحيات ومایة حصان ملوكية بسروجها ولجاماتها وثمانية الاف درع باسلحتها وجلود سباع واربع كاسات من قرون الافاعي مرصعة بجوهر ناري يتقد جداً وختمان من جوهر خالص لايمازجه شي وكرسيان من ذهب نقي مرصعان بحجارة ثمينة ومطمان

بعظم الحيات والتماسيح ومع الهـدايا رسالة تقول هكذا *
من الملكة اوليمبياده الى اسكندر قيصر المحبوب مني اعلم ياشمس
المسكونة انه من نهار ان غبت عن عينيَّ لم يلذ لي طعم النعم وها انا
استحلفك يا ابني انك لا تترك قلبي متحسرًا ومتعطشا لرويتك
ياسيد الارض وسلطان الملوك لان لا شيء يسليني عنك لا التاج
ولا البرفيل ولا كثرة الجنود ولا ركض الخيل ان لم ارى صورتك
الحلوة لانه ايما تسلية للوالدة عن ولدها . فاما انك تعجل في
الحضور او تاذن لي ان اتي اليك لابصرك قبل وفاتي والسلام .
هذه الرسالة قراها ارسطوطاليس الحكيم ثم جلس في موضعه على
المايدة . واما اسكندر فكان جالسًا على كرسي رفيع جدًا وكان
مرتفعًا عن الارض باثنتي عشرة درجة مصنوعًا بصناعة دقيقة من
ذهب نقي وجواهر تتوقد كالمصابيح مطعمًا بالعاج واسنان الحيات
وقرونها وانياب السباع وهذا الكرسي كان لبورس ملك الهند وفي
ذلك اليوم سرق لاسكندر كاس من كووسه التي كان يشرب بها
وكان ثمينًا جدًّا فلما بلغهُ ذلك قال ان سارقه في اي موضع ذهب
فليظهره فسيعلم الناس انه لاسكندر . فلما اكمل كلامه اذا بشابٍ
اتى بالكاس ووضعها امام اسكندر واقر باخذهِ . ففرح اسكندر
بذلك ووهبهُ قنطارًا من الذهب وسرح سبيله قال ارسطوطاليس

لقد اجدت يا اسكندر في حلمك هذا على الناس اكثر من جميع الملوك
اجاب اسكندر ثلاثة اشيا تلزمني دائمًا ولكل ملك هبة الكرام
والسماحة للعظما وعدم المحاباة بالوجوه بل القضاء بالعدل وبدا
ان يخبره عن كلما جرى له وما صنع من الاقضية والاحكام عن
جميع المعارك الشديدة التي كابدها وجميع الملوك الذين باطشهم
واهلكهم وعن امر المغارة التي دخل اليها في ارض قنطركيا وغير
ذلك من العجائب التي شاهدها الى ان تعجب الفيلسوف من ذلك
ثم ساله قائلاً ان كنت نظير هولاء الملوك والجبابرة قتلت فاين
ذهبهم وفضتهم ومقتنياتهم التي غنمتها يا اسكندر * فاوما بيده
الى عظمايه ووزرائه ومساعديه في المعارك والحروب ثم قال له
الفيلسوف كان الافضل ان يكن لك ولد من حقويك ليملك
بعدك ويسود على رعيتك ويدبرهم كما دبرتهم انت ويكون خليفة
لك * اجاب اسكندر لا اترك لكم ولدًا يملك عليكم ويملك مكدونية
بعدي بل ارفع شان المكدونيين في حياتي واعلي اسمهم وحسبكم ان
يقال عنكم ان المكدونيين قد سادوا الارض وملكوها بسيفهم وقوسهم
وان يذكروني في الاجيال العابرة ويورخوا الحروب والمعارك التي
جرت من زمن ملكي وفي الغد صنع اسكندر وليمة عظيمة
لعظمائه ولروساء دولته ولمقدمي العساكر ففرحوا جدًا فرای هنالك

Digitized by Google

احد القواد من اهل فارس كان يصبغ لحيته لكي يرى شابًا فقال له اسكندر ياهذا خزي عظيم لك ان لحيتك لحية شاب وركبك ترخو من الكبر فما الفايدة من ذلك السواد وليس لك قوة اظن انك تضيع تعبك باطلاً وترى انك شاب والموت يخطفك خطفًا فلما سمع روسا اسكندر ذلك انقلبوا ضاحكين . ورجل اخر كان عظيم الجثة مهيب المنظر الا انهُ كان جبانًا في الحروب وفي الهيجاء كان يختفي ويولي هاربًا . فلما راه اسكندر قال له ياهذا اما انك تغير هيئتك او تقتني شجاعة القلب والا فخزي عظيم لك وفي ذلك اليوم امسك اصحاب اسكندر ثلاثة الاف رجل من اللصوص واوقفوهم قدامهُ لكي يعاقبهم اجاب لانهم راوا وجهي فقد عفوت عن قتلهم لان القضاة تحكم بالقتل واما الملوك فبالعفو والمسامحة ثم امرهم ان يكونوا عنده في خدمة الصيد وان يبتعدوا عن السرقة ثم اتوا الى اسكندر بانسان كان يرمي بالسهام وزعموا ان سهمه ينفذ من الخاتم ولا يخطي ابدًا فاحضر الولد قوسًا وسهمًا ثم امرهُ اسكندر بان يظهر صنعته فلم يرد ان يمسك القوس بيده البتة فوثب اصحاب اسكندر عليه لعصيانهِ اذ لم يسمع لاحد فامر اسكندر بان يقطع راسه . فلما دنا من موضع القتل حزنوا على شهرتهِ وضربوهُ لكي ينزل عن عناده ففكر في نفسهِ وقال الافضل بي ان اموت في ساعة واحدة

Digitized by Google

واحفظ لرادتي من ان اقهر من الخوف فيشنع على اسمي وصنعتي فسالوه وما ذلك اجاب ان لي مدة عشرة ايام لم امسك القوس في يدي فاخشى ان اخطي في رمية امام الملك فيشنع على صنعتي ولهذا افضل لي ان اموت فاخبروا اسكندر بما قال فعجب منه ومدحه على ذلك ثم اتى احد الجند وسجد لاسكندر قائلاً يا حاكم المسكونة الملك المظفر ان لي ابنة وحيدة واريد ان ازوجها وليس لي ما انفق عليها . فامر اسكندر ان يعطوه ثلاثين قنطاراً من الذهب ثم قال له زوج ابنتك اجابه هو جزيل ايها الملك اجابه اسكندر ليس هو كثير لانها عطية ملوكية فينبغي ان تكون جزيلة . وبعد هذا احضر اسكندر لمعلمه ارسطوطاليس هبات جزيلة اوهبه اياها منها تاج ثمين جداً ووشاح كان للملك بورس الهندي وعشرة الاف قنطار من الذهب وعشرة اكيال لولو وجهزه الى ارض مكدونية الى امه الملكة اوليمبيادة واوصاه بان يحضرها الى نواحي فلسطين ومصر وفي تلك الحدود كان اسكندر مع روكسندرة ابنة داريوس ومعه الجيوش والعساكر وفي تلك الايام اتى انسان الى اسكندر وقال له يا اسكندر عش الى الدهر انني منذ ثلاثة ايام ذهبت لاصطاد على حافة نهر الدجلة فتراءى لي هناك مغارة فدخلت لانظر فرايت كنزاً عظيماً جداً وذهباً جزيلاً لا يحصى فان شئت ارسل وخذه

فضحك اسكندر وأجابه ان الذهب والفضة هو كله لله فلو شاء
الله تعالى لاوهبني اياه قبلك فها قد اوهبك اياه فاذهب وخذه *
قال له ذاك ايها الملك العزيز انني قد اخذت على ما قدرت وها
لي يومان وليلتان انقل منه لانه شي كثير لا يحصى فعجب اسكندر
من ذلك ونهض فركب الى ان اتي الى الكنز فوجد شيأ كثيرًا لا
يحصى من كثرته فقال هذا الكنز من خزائن داريوس الذهبية
ثم امر بتفريقه على العسكر وفي اثناء ذلك اتى اليه مبشر بان
امه الملكة اوليمبيادة قد حضرت من مكدونية فلما سمع امر عظماه
واصدقاه وسائر روساه ومقدمي الجنود والمسربلين بالحلل
الذهبية والجيوش ان يلبسوا افخر ثيابهم ويستعدوا للركوب للقاء
الملكة امه. ثم اخرج الخيل المختصة به وكانت الف جوادٍ سروجها
ولجمها كلها من ذهب نقي مرصعة بالجواهر واخرج خمسين
زوجًا من النفير ومائة زوج من النقارات مع عدد عظيم من الالات
المختلفة ورتب كل الات الموسيقى وخلفها عجلة عظيمة من الذهب
النقي مرصعة بجواهر وحجارة ثمينة ولآلي كبار مزينة بزينة تدهش
الناظرين يجرها مائة من الخيل وارسل فيها امراته روكسندرة
لملاقاة الملكة اوليمبيادة امه وصحبتها مائة الف من النساء الشريفات
الجليلات المزينات باعظم زينة فلما رأتهن اوليمبياده ونظرت

حسنهنّ وجمالهنّ تحيرت من ذلك وفرحت جدًّا وبدات تمدحهنّ وتعظمهنّ وضمتهنّ اليها قائلة اهلا وسهلا بكنّ جميعًا وعلى الخصوص بالملكة روكسندرة ابنة الملك داريوس كنتي * المجد للاله العليّ الذي وهب ابني امرأة حسنة وجميلة جدًّا فائقة في العقل والفهم وبارعة في الجمال * اجابتها روكسندرة قائلة مرحبا بوالدة الملك السامي المجد الرفيع الشرف سيد المشرق والمغرب قريني اسكندر واهلًا وسهلًا بالملكة اوليمبيادة سيدتي ولما فرغتا من التحيّة والسلام دخلت بها الملكة روكسندرة الى العجلة الذهبية واذا باسكندر قد وصل مع جيوشه بزينة عظيمة وصفوف تذهل الناظرين وكان حوله الملوك الذين حضروا اليه ووزراؤه وعظماؤه ومقدموا العساكر والجنود على خيول كريمة من ارض المغرب وجميعهم كانوا لابسين على روسهم تيجانًا بهية تلمع متلالئة كالبرق . واما عسكر المكدونيين فكانت كل خيلهم بيضاء بسروج ولجم من ذهب نقي ووشاحاتهم من ارجوان وبرفير مطرزة بالذهب على رؤوسهم ريش من الطاووس والنعام مضفورًا بذهب * وعلا صهيل الخيل واضطراب العساكر حتى ان الارض ارتجت * فلما قرب اسكندر خرجت الملكتان لملاقاته وانتشرت العساكر في ذلك السهل حتى امتلا من الخيل والناس ووقفوا هناك . فلما اقترب

اسكندر وصار على نحو ميلٍ منهم نزل عن فرسهِ وكذلك عظماؤهُ ورؤساء دولته كلهم نزلوا عن خيولهم وجرى مسرعًا الى ان وصل الى امه وانطرح عليها وبكى واخذ يقبلها ويعانقها فاجابته قد نسيتني ياولدي ياسيد الارض وراسها * ثم دخلتا الملكتان الى العجلة الذهبية واما اسكندر فانهُ ركب فرسه الاعظم وكان مغطًى بوشاحٍ من ذهب مرصع بحجارة كريمة على راس الجواد كشبه خوذة من ذهب واما اسكندر فكان على راسهِ تاج كشبه خوذة فارسية وهو الذي كانت قد اوهبته اياه قنطركيا وكان كشبه نسر ذي راسين باعين من جواهر حمراء تتقد في الليل كضوء النهار حاملاً في رجليه كتابة تقول هكذا القيصر اسكندر العظيم الظفر وصاحب السعد الاكبر ضابط كل جهات الارض وسيدها. وكان العسكر عظيمًا ومنظره جيد ونظامه يفوق الوصف فكان مقسومًا الى طغمات جميعها حاملة اسلحة الحرب وصنوف الآت الموسيقى فكان المكدونيون يمشون اولاً ويتبعهم الفرس ثم الهنديون ثم الشاميون ثم العرب ثم الاقوام الافرنجية . ففرقة كانت تضرب الموسيقى الحانًا محزنة. واخرى يسمع لها صوتًا حنونًا جدًا وغيرها تصرخ بالحان مفرحة واخرون يهتفون باصواتٍ عالية تحرك الانسان للحرب والقتال ومن يقدر يصف التراتيب والالات التي التقى بها

اسكندر ووالدته واما فرقة اسكندر والذين معه فكانت الاتها من
الطبول والزمور والنقارات والنفير والنايات والسنطير وجميع
الات الموسيقى من ذهب نقي من كل نوع ماية زوج وكانوا
اذا ضربوا بهذه الالات يسمع لها صوت دوي في الارض ثم وصلوا
الى الموضع الذي عزموا ان يبيتوا فيه تلك الليلة فامر اسكندر
ان توضع المايدة للطعام واما هو فجلس على كرسي الذهب الرفيع
العظيم الذي هو كشبه المنبر واجلس عن يمينه والدته وعن شماله
روكسندره امراته وفي هذا النهار انسر جدا وذهب عنه بعض ما
كان يجده من الغم واراد ان يشرح لوالدته عن جميع ما اصابه
وما كابده من الحروب والمعارك مع الملوك المردة والمتقدمين وعن
كلما شاهد من العجايب والغرائب في الارض من مشرقها الى مغربها
ثم بعد ذلك امر اسكندر بان تضرب الالات الموسيقية المختصة بجنس
اليونانيين وكان لها ثلاثة الاف صوت وكل صوت كان يلحن
حينا تحيناً مفرحاً وحيناً محزناً وكان كلمن يسمع تلك الاصوات
يمتلئ قلبه فرحاً وحزناً معاً وهذه كانت صنعة فلاسفة اليونانيين
الذين يقولون ان علم الموسيقى فرع من علم الفلسفة . واما اسكندر
ففرح ذلك اليوم فرحاً لا يوصف مع امه وامراته ونادى كل عظما
دولته ووزراه فاجتمعوا كلهم الى خيمته وهم مسرورون جدا . ثم

Digitized by Google

امر اسكندر الموصوفين بالشجاعة او الذين هم متمرنون في ركوب الخيل والمتريشين بالحلل الذهبية ان ينشئوا ملعبا بالرماح. ففعلوا ذلك الى ان اغربت الشمس وفي الغد ايضا امرهم ان يرموا بالنشاب وهكذا في اليوم الثالث انشاء ملعبا اخر

وفي ذلك اليوم اتى الى اسكندر شابان من الموصوفين بالشجاعة متقدمان في ركوب الخيل وكانا اخوين مكدونيين وكان اسكندر يحبهم محبة مفرطة لانه كان قد رباهما وكانا منذ سنين لم يريا امهما لاجل محبة اسكندر وعزما على انهما لا يفارقاه البتة فلما راى الشيطان محبة اسكندر لهما وهما كذلك دخل فى قلب امهما وعلمها رايًا خبيثًا وحيلاً ردية وكان اسمها مجفيرا ففكرت في نفسها قائلة ان لم احتيل على اسكندر واقتله لا احظى باولادي فصنعت شرابًا حلوًا ذا رائحة عطرة ومزجته بسم قاتل وارسلته في وعاء الى ولديها افكادوشي وفريانوشي والرسالة تقول هكذا من امكما مجفيرا الى ولديّ الشهيين جدًا اما تعلمان يا ولديّ ان لي زمانًا طويلاً لم ار وجوهكما وطلعتكما الحسنة وكم رسالة ارسلت لكما ان تاتيا الي وانتما تحجان انكما لا تقدران ان تفارقا اسكندر بل اعلما ان المجد والشرف هو عندنا في مواطننا وارضنا فلماذا انتما تائهين في البلاد الغريبة والان اقسم عليكما باللبن الذي رضعتماه مني ان تحضرا اليّ وان لم تحضرا تكونا محرومين

مني وان لم يدعكما اسكندر ان تاتيا اليّ ففي حال جلوسه على
المائدة وقت غذايه اعطياه هذا الشراب الواصل اليكما فاذا شربهُ
بالحال يطلق سبيلكما فهذه رسالة مجفيرا الى ولديها كما علمها الشيطان
الباغض السلامة فوصلت الرسالة الى ولديها لفكادوشي وفريانوشي
اما لفكادوشي فهز راسه وبصق عليها واهتم في ذاته واما فريانوشي
فقراها وتبسم واخذ ذلك الوعاء الذي كان فيهِ الشراب المسموم
وخباه باحتفاظ فقال له لفكادوشي اطرح هذا الانا واكسره لانه
رجز من الله ولا يعقبنا منه خيرا اما لفكادوشي فكان رئيساً ومقدماً على
خيل اسكندر كلها وفريانوشي كان ساقي اسكندر يسقيه بيده
وكان اسكندر يحبه ويركن اليه الا انه كان ذو مكر وخبث وكان
يكمن الغش في قلبهِ . وكان يطلب من اسكندر ان يخوله حكم
ارض مكدونية فلم يشا اسكندر ذلك بل قال لهُ كل الممالك
التي تحت يدي اقسمها واهبها الاصدقاي واما مملكه مكدونية فلست
اعطيها لاحد بل انا بذاتي اريد ان اترأس عليها الى ان اموت
لان اسمي عليها ويقال عني اسكندر المكدوني وملك مكدونية فاذا
مت يهبها الله تعالى لمن يشاء . فحقد عليهِ فريانوشي وكان ذلك علة
موته واراد في تلك الساعة ان يعطيه ذلك الدوا القاتل فمضى
وامسك القدح وهم ان يعطيه اياه وكان ينظر الى طلعة اسكندر

Digitized by Google

ويندم ويرجع القدح الى موضعهِ . هذا فعله مرتين ثم عاد فاخفى
الشراب لوقت اخر ولم يزل يفعل ذلك مدة سبع سنين ولم يقدر
ان يقتله لان اخاه لم يشأ ذلك بل قال لهُ اخشَ الله ولا تفعل
هذا الفعل الردي وتهلك سيد المسكونة ملك الهند والصين
الذي قد تحيرت من حكمته وعقله جميع الملوك والشعوب فتصير
سببًا لسفك دماء الملا وربما يحدث لنا نحن ضرر فاتضرع اليك
بان لا تصنع في اسكندر هذا الصنيع الشيطاني . فلم يسمع منه بل
كان مُضمِرًا المكر في قلبه وهكذا تمت المكيدة التي اصطنعها هذا
الانسان كما سياتي ذكره في الغد صنع اسكندر وليمة عظيمة لروسائهِ
وعظماء دولته واتت اليه الجزية من كل المسكونة وحدود المشرق
والمغرب الى اطراف الارض ذهبًا جزيل المقدار بغير عدد فجلس
علي المائدة وهو مسرور جدًّا في ذلك اليوم وكان لهُ كاس جيّد
مصنوع من جواهر نارية تنقد اتقادًا فبهذا القدح كان يشرب دائمًا .
وفي تلك الساعة فيما هو يشرب ترك الكاس لاجل الملكة
روكسندرة واما فريانوشي فلم يضبط الكاس جيدًا بل بحيلة من
الشيطان وقع من يدهِ فانكسر فاغتم اسكندر جدًّا واغتاظ على
فريانوشي وألمه بالكلام فاغتاظ فريانوشي وتومر من اسكندر لعلة
كسر القدح الجوهر وذكر ذلك الدواء القاتل واراد ان يناوله

Digitized by Google

اياه في تلك الساعة فلم يتركه اخوه لفكادوشي ايضاً ولم يهوَ موت اسكندر وفي هذا اليوم انتهوا الى اورشليم واخبروا اسكندر بان رئيس الكهنة قد توفي فحزن على موته حزناً شديداً وفي الغد اتى قوم اليهِ قائلين ايها الملك العزيز اسكندر قيصران مدينة اسكندرية التي بنيتها لايمكننا ان نسكنها. فسالهم لماذا اجابوه لان افاعي كبيرة وتماسيح تخرج من نهر الذهب وتاكل الناس فامرهم قائلاً اذهبوا الى بيت المقدس واحملوا جسد رئيس الكهنة الى مدينتكم واقسموه اربعة اجزآء وادفنوه في اربعة اطراف المدينة فتنجوا من غضب الافاعي ببركة هذا النبي ففعل القوم ذلك وسكن عنهم دبيب الافاعي * ثم اتت امراة اليه قائلة ايها الملك ان رجلي يهينني ويجلدني ضرباً * اجابها ليس لي ان احكم بين امراة ورجل فان كان رجالك فهو راسك ومن عادة الجسد كله ان يخضع للراس ثم احسن اليها واطلقها ثم ان اسكندر امر الملوك الذين معهُ والروسا ان يذهب كل واحد منهم الى مملكتهِ وكورتهِ بكرامة جزيلة واما هو فعزم ان يقيم مع امهِ وامراتهِ وجيش مكدونية المختص به. وفي الغد ذهب الى الصيد فاصطاد كثيراً

وفي هذا اليوم تقدم فريانوشي الى اسكندر قايلاً ياسيدي العزيز هبني ان احكم بلاد مكدونية ونكون نصيبي فاجابهُ ياولدي المحبوب انت

تعلم اني انا اخذت الامم وممالك الارض بسيفي الآن جميع الملا
يدعونني اسكندر المكدوني ولقب مكدونية خصوصي لي ولكن
اهبك ارضي كيليكية والشام وانطاكية العظيمة التي يسكنها اكثر
من الف ربوة من الناس فلم يهوَ فريانوشي ذلك بل افتكر قايلاً
ان انا قتلت اسكندر فاملك الارض كلها عوضه ❊ وفي تلك الساعة
اتى الشراب القاتل الذي كان مخبا عنده فوضعهُ في قدح فشرب
منهُ اسكندر وللوقت ارتجف جسمه كلهُ وبرد حتى صار كالجليد
ففطن اسكندر بالحال انه شرب سماً قاتلاً وصرخ صوتاً عظيماً نحو
فيلبس الطبيب الكبير قايلاً يا حبيبي فيلبس اعلم ان قدح الشراب
الذي شربتهُ الان سم قاتل فهوذا الان افعل معي ما قدرت من
الخير فلما سمع فيلبس كلام اسكندر وصراخه امسك خوذنه عن
راسهِ وطرحها مولولاً وضرب راسهُ في الارض فنهض مسرعاً
ووضع دواء نارياً حاراً ومعهُ بخور اللبان فسقى اسكندر فلما سمع
لفكادوشي ما جرى باسكندر لم يطق ان ينظره بعينيهِ بل من فرط
حزنه اتكا على سيفهِ فدخل السيف في قلبه ومات . واما اسكندر
فقال لفيلبس يا حبيبي فيلبس لعلك تعينني بشي لارجع الى حياتي
اجاب فيلبس وهو باكٍ يا هام المسكونة الملك المظفر لا يقدر احد
في هذه الساعة بهذا الحال ان يحيي ويميت ويقبض سوى الله الواحد

Digitized by Google

فهو يساعدك لان السم سري في جميع جسدك ولا يمكنني ان اساعدك
بشي ما خلاف ان اوقف السم الى ثلاثة ايام فقط الى ان ترتب امر
مملكتك وتدبر احوالك وتوصي المسكونة وملوكها. فلما سمع اسكندر
قول فيلبس هز راسهُ وبكى بكاء شديدًا وانتحب وتمرمر قايلاً ما امر
هذا الموت الشنيع ما امر مجد العالم البطال وشرفه الكاذب الذي
يضمحل في طرفة عين ليس في هذا العالم فرح الا يعقبهُ حزن
ياسما ياارض ياشمس ياايها الناس والروسا والمتسلطين ياجبال
ياتلال ياسهل ياوعر ياايها البحار والانهار والعيون ابكوا معي في
هذا اليوم انا المتوجع المحزون الذي في مدة يسيرة ظهرت في
الارض وها انا اسقط الى الارض راجعًا اليها لماذا حتم باخذي
بغتةً ويلي ويلي انا الشقي ما هذه الحيوة الكاذبة اين مجدي وعزي
وشرفي واقتداري ورفعتي وسلطاني ايها الجنود والعساكر المنتخبين
والموصوفين بالحروب في يوم الوغى وساعة الهيجا اللابسين الحلل
الذهبية والراكبين الخيل المنتخبة والمحبوبين مني والمحبوب انا منهم
لعلكم تقدرون ان تعينوني الان لكي اخلص من الموت المر وارجع
الى حياتي. فلما سمع المكدونيون عجيج اسكندر وعويله وصراخه وبكاه
المر اجابوه قايلين يا اسكندر سلطان الملوك وعظيمهم لو ان الموت
يقبل فدية عوضك لقد كنا جميعنا نعطي ارواحنا فدا عنك ولو

عرفنا من اي ناحية ياتي الموت اليك لكنا اسلمنا نفوسنا للحرب والذبح عوض حياتك اما انت يا اسكندر فعشت حسنًا وموتك فهو موت مكرم احسن من حيوة غيرك فاذهب بسلام الى الموضع المعد لك الذي عرفته

واما فيلبس الحكيم فاحضر بغلاً وشقه حيًّا وادخل اسكندر في جوفه . ثم ان اسكندر رتب الممالك كلها ثم احضر بطلوماوس وفيلونيوس وسلم اليهما امه اوليمبياده وامراته روكسندره وقال لهما ايها الاخوين صديقيّ المحبوبين مني هوذا اسلم اليكم والدتي وامراتي بما انكم اميناي وصديقاي ومثلما كنت احبكما محبة حقيقة من القلب خالصة من الغش الى الموت هكذا فلتكن محبتكما صادقة لهاتين الامراتين احسنوا الصنع معهما الى ان تموتا وتدبرا انتما مملكة مكدونية جيدًا وترفعا جسدي من هنا الى مدينة اسكندرية وانا مومل اننا سنلتقي في المعاد الثاني في الوقفة العلوية حيث تقوم الاجساد المايتة منذ الدهر . واعلموا ايضًا ان الفرس لا بد لهم ان يحكموا مكدونية كما نحن حكمنا الفرس . ثم ان اسكندر نادى روكسندره فامسكها من عنقها وجعل يعانقها بنحيب شديد وجعل يسليها قايلاً يا روكسندره ابنة الملك داريوس الجميلة في نساء الارض قرينتي التي حبها عندي لا يقاس سيدة اهل فارس ومكدونية

والهند وبقية الممالك اعلمي انكِ كنتِ من حظي ونصيبي وهكذا
جمعنا الله نحن الاثنان ومثالنا غصنا كرمة من جفنة واحدة وقد
اشهرت لكِ مكتومات قلبي وانتِ اعترفتِ باسرار قلبكِ وقضينا
زمانًا حسناً فاعلمي يا روكسندره ان محبتنا قد افترقت الان
وخمدت وهوذا انا ماضٍ واتركك في العالم . ثم قبلها شديدًا
وعانقها وتركها ثم بدا ان يقبل كل وزرائه وعظمائه المحبوبين منه
ثم قال لهم يا احبابي منذ الان لا تعودون ترون اسكندر معكم ثم
امر بان يأتوه بحصانه راس العجل فاحضروه فنظر الحصان الى
اسكندر وهو ينازع فبدا يضرب براسهِ ويتمرمر وهو يهطل
الدموع من عينيهِ ويضرب بحوافره الارض ويدور حول سرير
اسكندر ولم يتجاسر احد ان يمسكه . واما اسكندر فمد يده وامسكه من
اذنه وضمه اليهِ فاجابه الوقوف أرأيت يا اسكندر حتى ان هذا
الفرس نائح وحزين على موتك حينئذٍ بكى اسكندر وقال للحصان
ايها الفرس المحبوب لا يركبك منذ الان اسكندر اخر ثم انه التفت
وراى فريانوشي الذي دفع اليهِ السم وقال له اتعلم باي مقام كنت
عندي واية كرامة وهبتك اياها وكنت امينًا لي وصديقًا فلماذا
عملت معي هذا العمل وسقيتني في شرابي سمًّا . فاذكر ما احسنت
اليك وفي حال كلام اسكندر لفريانوشي وثب الحصان على

فريانوشي بغتة وامسكه من عنقه وعض عليها باسنانه وجذبه
اليه ورماه الى الارض ولم يزل يدوسه بيديه ورجليه ويضربه
بجوافره الى ان مزقه تمزيقا واهلكه فلما راى اسكندر ذلك تحير من
العجب الصائر وقال اشرب انت يا اخي من هذه الكاس التي
سقيتني اياها من هذا الفرس الحيوان الغير الناطق حينئذٍ امر
بطلوماوس ان يقطعوه تقطيعاً ويرموه للكلاب فامر اسكندر
باحضار كاتب فتلى عليهِ كتاباً بهذه الصورة * من عبد الله اسكندر
المتولي كان بالامس على اقطار الارض وهو اليوم رهينها الى امه
اوليمبياده الحبيبة الحنونة التي لم يتمتع بالقرب منها السلام الطيب
الزكي ان سبيلي يا اماه سبيل من قد مضى من الاولين وانتِ
ومن يتخلف بعدي في الاثر ومثالنا في هذه الدنيا كاليوم الذي
يدفع ما قبله كما عرفتِ الملك فيلبس حيث لم يجد سبيلاً الى المقام
معكِ * فتدرعي بالصبر وانفي عنكِ الجزع واعتزلي وامري ان
لا يدخل اليكِ الا من لم تنله مصيبة ولا بلي بداهية لتعرفي ما سبق
ذلك فتستقري على امركِ فان الذي اسير اليه اخير مما كنت فيه
واروح. فاحسني الى نفسكِ بقبول العزاء والصبر لئلا يتملك
الحزن عليكِ فان قلتِ ان السخاء يدفع عنا فقد ارسلنا قدامنا
اثنى عشر قنطاراً من الذهب وان قلتِ ان الرجال يفدوننا فنحن

Digitized by Google

تملك على الدنيا باسرها وما دفعوا عنا جزاء من شدتنا وان قلت ان الحكما فكان موجودًا عندنا الفا حكيم وما ازالوا عنا شيئًا ولكن كل هذا باطل وكتابي هذا في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة كتبته اليك رجاء ان تتعزي به ويحسن موقعه منك فلا تخيبي ظني ولا تحزني نفسك والسلام

وامر بختم الكتابة وارسالها الى امه وتقدم الى فيليمون وزيره قايلاً ان يستر موته ويعجل بالمسير الى اسكندرية ويقال ايضًا انهُ لما بلغ قوموش مرض بها مرضًا شديدًا وكل يوم كان يزداد ضعفه وكانت امه قد سالت الحكماء وقالوا لها حين ولدته انه يهلك في موضع سماؤه ذهب وارضه حديد فمضى حتى اتى شاهرون فبينما هو في سيره اذ اشتد به الكرب فنزل واتى له بساط وفوقه درع من حديد فجلس عليه واظل بترس مموه بالذهب فلما نظر ذلك ذكر قول امه ثم قضى اجله ومات فلما ورد الكتاب الى امه امرت بان يحضروا لها طعامًا وارسلت فاستدعت جميع الناس الى الطعام واوصت من هو قائم بالباب ان لا يدع احدًا يدخل الا من لم تنله مصيبة فجعل البوابون يسالون من اتاهم فاذا وجدوه قد اصيب باحد لم ياذنوا له بالدخول حتى صدرت الناس كلها فلم يبق احد فلما رات ذلك ام اسكندر حسن عزاوها وصبرت وايقنت انه هذا

السبيل . وجعل فيليمون الوزير جسد اسكندر في تابوت من ذهب اجلالاً له وملأهُ عسلاً وستر الوزير موته . وقاد الجيوش والخزاين الى اسكندرية فلما وصل الى هناك اظهر للناس موت اسكندر. واخرج التابوت ووضعه في وسط البلاط وامر فيليمون الوزير الحكما ان يقول كل واحد منهم بيتاً يكون للخاصة تعزية وللعامة عظة بايجاز

فقال فيليمون الحكيم) هذا يوم عظيم العبر اقبل من شره ما كان مدبرًا وادبر من خيره ما كان مقبلاً فمن كان قد فقد ملكه فليبكِ

قال افلاطون) ايها الساعي المغتصب جمعت ما خذلك وولى عنك فلزمتك اوزاره وعلا على غيرك هناوه

قال تاوون) صدر عنا اسكندر ناطقاً وقد مر علينا صامتاً

قال ارسطوطاليس) قل لرعية اسكندر هذا يومٌ ترعى الرعية فيهِ راعيها

وقال فيلن) هل يعزينا على ملكنا من لم تنله مصيبة .

قال اخر . هذه الطريق لابد من سلوكها فارغبوا في الباقية كرغبتكم في الفانية

قال اخر) كفى بهذه عبرة ان بالامس الذهب كان كنز اسكندر

Digitized by Google

واليوم اصبح اسكندر مكنوزاً بالذهب

قال اخر) سبحانك من سره موتك كما لحقت من سرك موته

قال باوطن الفيلسوف) لا تجلوا ممن لم يعظنا في حياته فقد صار بموته لنا واعظاً

وقال مطرن الحكيم) قد كنا ايها الشخص الجليل بالامس نقدر على الاستماع منك ولا نقدر على القول فهل تسمع الان ما نقول

وقال اخر) لم يودبنا اسكندر بكلامه كما ادبنا بسكوته

وقال ديطر الحكيم) يامن كان غضبه الموت لما لا غضبت على الموت

قال اخر) خافت حصونك ايها الشخص وامنت حصون خايفيك

وقال اخر) ما اصدق الموت لاهله غير انهم يكذبون عيونهم ويصمون اذانهم

قال فيلقطن الحكيم) ان دنيا تكون هذه اخرها فالزهد في اولها اولى

قال اخر) ايها الجمع لا تبكوا على من جاز البكاء عنه بل فليبكِ كل رجل منكم على نفسهِ.

قال اخر) ان كان لا يبكى على الموت الا عند حدوثه فالموت في

كل يوم جديد

وقال اخر) يا هذا الذي كان غضبه مرهوبا وجانبه ممنوعا فان غضبت لا يفرق الموت منك ولم لا امتنعت لتنفي الذل عنك

وقال اخر) لقد كنت مغبوطا فاصبحت مرحوما ولين كنت مرتفعا فقد اصبحت متضعا

وقال اخر) كفى العامة اسوة بموت الملوك وكفى الملوك عظة بموت العامة

وقال اخر) قد كان صوتك مرهوبا وملكك عاليا فاصبح الصوت وقد انقطع والملك قد اتضع

وقال اخر) ما وعظنا اسكندر بعظة هي ابلغ من وفاته

وقال اخر) لين كنت بالامس لا يامنك احد فلقد اصبحت اليوم لا يخافك احد

وقال اخر) قد اوصيت الى من كان له عليك دين ولا بد من اقتضا ذلك منك فيا ليت شعري كيف صبرك عند اقتضا الدين والحق منك ،

فلما فرغت الفلاسفة من الكلام قامت زوجة اسكندر روكسندرة ابنة الملك داريوس ملك العجم وكانت من اعز الناس الى اسكندر فوضعت خدها على التابوت وقالت ما كنت احسبك ايها الملك

Digitized by Google

بعد ان غلبت دار الدنيا ان ملكك يُغلب

ثم قالت للفلاسفة) ان كان منطقكم في اسكندر تهزيا فقد خلف الكاس التي شربها معكم كلكم لتشربوها لانها دين عليكم وان كانت تعزيةً وندبًا فاستعدوا للجواب وللاعتذار والحجة فانهُ مهما ذاق ستذوقونه وليكن العمل على قدر القول فانكم غير آمنين

ثم ان ام اسكندر ايضًا خرجت فوضعت خدها على التابوت وقالت قد بالغتم في التعزية والذي كنت احذره على اسكندر قد جد اليه فلم يبقَ ملك ولا بقي عليه فليكثر في الدنيا زهدكم واعطو الحق صاحبه فقد قبلت تعزيتكم وامرت بدفنه وملك وله من العمر ست عشر سنة هذا ما وقفنا عليه من اخبار اسكندر وما جرى له من الفتوحات والمعارك التي احدثها من ابتدآئها الى منتهاها ونرجو ممن يقف عليه غض الطرف عما سها بهِ القلم وزلت بهِ القدم فان العصمة لله

وكان الفراغ من طبعهِ في اليوم العاشر من شهر نيسان سنة ١٨٦٨ بنفقة ملتزميه الخواجات حنا غرزوزي وسليم نصر وعبده يني بالمطبعة الوطنيّة في بيروت

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Library of

VET TES EN NOV TAM TVM

Dei Sub Numine Viget

Princeton University.

Digitized by Google

32101 077795522